محمد مغازي محمد

قصص الأنبياء

بحوث مثيرة

الجزء الثالث والأخير

- شعيب
- موسى وهارون والخضر
- داود وسليمان
- أيوب ويونس
- زكريا ويحيى وعيسى

مراجعة وتقديم

محمد عبد الله السمان

الطبعة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

صدق الله العظيم

مقدمة

بقلم محمد عبد الله السمان

● هذا هو الجزء الثالث والأخير من « قصص الأنبياء » للأخ المسلم الصديق : الشيخ محمد مغازى محمد ، الذى عرفته منذ سنوات ، سلفيا يدافع عن السلفية ضد مناوشة البدعة ومهاترات المبتدعين ، فى عصر أصبح الإسلام فيه غريبا كما بدأ ، كما تنبأ بذلك الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - بذلك ، كما فى صحيح مسلم عن ابن عمر - رضى الله عنهما :

« إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ »

إن أخى المسلم منح من الله إيمانا صادقا ، وعزما قويا فى الدفاع عن عقيدة السلف ، وقد أصبحت البدعة هى القاعدة ، والسنة هى الاستثناء وأصبح المدافع عن الحق متهما فى نظر أهل البدعة الذين هم ذووا أفئدة هواء وعقول خواء .

ولماذا هذه الكلمات التى قد يحسها البعض خارجة عن الموضوع ؟

وأقول :

بل إن هذه الكلمات هى لب الموضوع ، فالمؤلف فى هذه الدراسة ، استهدف - فى المقام الأول : التركيز على عقيدة التوحيد ، التى هى الأساس فى رسالات الأنبياء جميعا ابتداء من نوح عليه السلام :

(لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) .

وعلى هذا المنهج سار جميع الرسل من بعد نوح ، وانتهاء بمحمد - صلوات الله وسلامه عليه :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴾ « سورة يونس ١٠٤ : ١٠٦ »

* * *

● إن المؤلف العامل البسيط الذى يفخر بأنه من شريحة العمال ، والقارئ الجيد الذى أيقن أن العلم هو القراءة - كما قال العملاق العقاد - رحمه الله تعالى . فمارس القراءة ، لم يشغله عمله المرهق جسديا عن أن يمارس القراءة التى ترهق

ذهنه .. هذا العامل القارئ يفخر بأنه لايحمل مؤهلا عاليا ولامتوسطا ولادونهما برغم علمه أن المؤهل اليوم هو الطريق الوحيد إلى» الأضواء والانتشار ، وضاعت سدى كلمات الإمام مالك ـ رحمه الله :

« لاتسل : من قال ؟ ولكن سل : ماذا يقول ؟

ورحم الله أستاذنا أحمد حسن الزيات :

كنت أقرأ عليه مقالات مجلتى الأزهر والرسالة التى كانت تصدر عن وزارة الثقافة ـ قبل نشرها ، ولا أذكر مهنة الكاتب ولامؤهله بناء على رغبته ، وفى عام ١٩٥١ أرسلت إليه مقالا لنشره فى مجلته « الرسالة » دون أن أذكر مهنتى أو مؤهلى ، فنشره ، وقد تابعت النشر دون أن يرانى إلا مصادفة وأن أضع مقالى فى صندوق المجلة البريدى بعابدين ، وعندما عين مديرا لمجلة الأزهر ثم رئيسا لتحرير الرسالة ، دعانى للعمل معه ..

* * *

● لقد أشفقت على المؤلف الذى تجاوز مرحلة الفتوة والشباب ، وقد استوعب مؤلفه من عمره أعواما ومرجع إشفاقى عليه أمران :

أولاً : أن المؤلف قد ارتقى صعباً ، وخاض بحرا لجيا حين اختار موضوع «قصص الأنبياء » يشق به طريقه إلى التأليف ، وقد سبقه إلى ذلك العديد من السلف والخلف كموضوع خاص ، بالإضافة إلى أن سائر مفسرى القرآن قتلوا الموضوع بحثا ، ومعنى هذا أن من يخوض هذا المعترك عليه أن يأتى بجديد ، حتى يتقبله القارئ بقبول حسن ، ولكن خفف من إشفاقى على المؤلف أنه اختار الأسلوب «السهل الممتنع » الذى لايشق على القارئ محدود الثقافة .

ثانياً : أن المؤلف مبتدئ ليس له سوابق فى التأليف ، والشعب العربى لم يبلغ بعد من الثقافة والوعى ما يجعله يهتم بالموضوع دون الشكل ، ويدرى أن المؤلفين الذين ظهروا على السطح ، وتسلط عليهم الأضواء كانوا من قبل مبتدئين ، وقد خفف من إشفاقى على المؤلف ما لمسته فيه من روح المغامرة من منطلق ثقته فى الله عز وجل .

* * *

● وبعد :

فمما يحمد للمؤلف إلى جانب اختياره لأسلوب سلس لايشق على العامة ـ فضلا عن الخاصة ـ عمل على إهمال ما ورد من إسرائيليات فى بعض التفاسير

القرآنية ،ولا سيما تفسير الخازن الذى حشاه بإسرائيليات مسفة .

كما يحمد للمؤلف التزامه بالنص القرآنى وحده ، متتبعا الآيات التى وردت فى كل قصة ، ولم يعبأ بما ورد فى التوراة المزيفة .

ومما يؤخذ على المؤلف :

أولاً : أنه لم يهتم كثيراً بآراء ممن سبقه من السلف وبخاصة ابن كثير ،ومن الخلف ولاسيما الشيخ العلامة عبدالوهاب النجار . .

ثانياً : أن المؤلف - وإن عرض لبعض القضايا الفكرية فى إيجاز وأدلى بدلوه - إلا أنه ترك كثيرا من هذه القضايا الفكرية . .

ثالثاً : كنت أتمنى اهتمام المؤلف باللغة العربية وبعض مشتقاتها ، فإن للدراية بهذه اللغة وبعض مشتقاتها قدرا لا يستهان به فى صياغة الأدلة وإبراز المعانى ودقة التعبير . .

ونحن إذا وضعنا المآخذ والمحاسن فى كفتى ميزان لرجحت كفة المحاسن ، وحسب المؤلف ما بذله من جهد زمنى وذهنى معا ، ولاينكر أنه جهد المقل رجاء أن يكون فى مؤلفه القادم ما يسر القارئ - إن شاء الله .

محمد عبد الله السمان

القاهرة - بريد العتبة ص.ب : ١٦٢١

ت : ٥٦٨٣٥٦٤

محمول : ٠١٠/٥١١٨٠٨٦

غرة ذى الحجة ١٤٢٢ هـ

١٣ فبراير ٢٠٠٢ م

شعيب

عليه السلام

● مع سيدنا شعيب عليه السلام :

أولاً : فى سورة الأعراف الآية ٨٥ :٩٣ وما بعدها يقول تعالى :

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ مدين تنتسب إلى رجل من ذرية إبراهيم عليه السلام وهم قبيلة أو أمة أرسل الله لهم نبياً منهم وهو شعيب عليه السلام من نفس القوم ليكونوا على معرفة به ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾

هى دعوة كل الرسل من لدن آدم إلى خاتم الأنبياء ، عليهم السلام ، وهى أساس العقيدة فكل تشريع يأتى بعدها يكون مستمداً من هذه القاعدة ، وهى عبادة الله وحده .

﴿ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ ولم يبين لنا القرآن هذه البينة ولابد أن تكون معجزة لتكون دليلاً على نبوته لأنه لابد لكل نبى من معجزة خارقة ليتحدى بها قومه .

● أمراض مجتمع مدين :

﴿ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾كان أهل مدين فى عيش رغد وكانوا أهل تجارة والمفسرون يسمون شعيباً عليه السلام بأنه خطيب الأنبياء بما كان يعظ به قومه وبراعته فى إقامة الحجة عليهم ودحض حججهم ، وطالبهم بالعدل فى الكيل والميزان فكان لهم كيلان كيل يشترون به وهو واسع وأعمق وكيل يبيعون به وهو أضيق وأضحل من الضحل أى الماء القليل ، وكذلك كان لهم ميزانان ميزان أثقل يشترون به وميزان أخف يبيعون به .

ولايبخسوا الناس أشياء أى لاتعيبوا محاسن تجارة الناس لتأخذوها بأقل من ثمنها لذلك كانوا سيئى المعاملة فى البيع والشراء ، ولاتفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها وكانت قد صلحت الأرض أى الناس الساكنين على هذه الأرض أى صلحت نفوسهم وأعمالهم ، بعد أن رأوا نعمة الله عليهم .

﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ولا تقعدوا بكل طريق توعدون ، وكانوا يقعدون على الطريق يرصدون الناس الذين يأتون إلى شعيب ليسمعوا منه العظة ويبين لهم الحلال والحرام ، ليصدوهم عنه وعن دينه ويتوعدوا من آمن بشعيب عليه السلام . وتبغونها عوجاً أى تريدونها عوجاء والله يريدها مستقيمة بيضاء ناصعة ليلها كنهارها شريعة تطمئن لها الفطرة السليمة .

﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾

أى تذكروا إذ كنتم قليلى العدد فكثركم أو كنتم فقراء فأغناكم فانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من قبلكم منهم من أخذته الرجفة ومنهم من أخذهم عذاب الظلة ومنهم من أهلكته الريح العقيم ذلك بكفرهم ومخاصمتهم لأنبيائهم : ﴿ وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾شعيب عليه السلام يطالبهم بهدنة عدم اعتداء طرف على آخر حتى يفصل الله بيننا وبينكم وهو خير الحاكمين لايحكم إلا بالعدل ولكن هيهات هيهات أن يترك الباطل الحق يعيش بجانبه حتى وإن لم يشارك فى الحكم ولكن الطواغيت لايرضيهم أن يكون للإيمان فى الأرض وجود يمثله جماعة من الناس لاتدين للطاغوت وأنصاره إنما تدين لله وحده ولاتعترف بسلطان إلا سلطان الله ولاتحكم فى حياتها شرعا إلا شرع الله .. إن وجود هذه الجماعة . وإن كانت منعزلة يهدد سلطان الطواغيت ووجود الحق وإن كان صامتاً يزعج الباطل .

• موازين الحق والباطل :

﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾وهكذا لابد من المعركة حتى ولو التزمتم الحياد هدنة عدم اعتداء ، من يريد أن يؤمن فليؤمن ومن يريد أن يكفر فليكفر فربما تهتدى العقول وتعود إلى الخالق إن الباطل فرض المعركة فرضاً . قال الملأ الذين استكبروا أى المسيطرين على مقاليد الحكم لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا بالقوة الجبرية أو ترجعوا عن دينكم الجديد وتعودوا إلى ديننا : أمران لاثالث لهما إما الإخراج وإما العودة إلى الكفر ولابد للحق أن يرد فى قوة وإصرار - أو لوكنا كارهين .

﴿ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾أى نكون مفترين على الله بالكذب إن عدنا فى ملتكم مرة أخرى بعد إذ نجانا اللهمنهما بالهداية إلى أقوم سبيل وإن العودة إلى ملتكم ، ولكن ذلك سيكون إذا أراد الله ذلك . وإبعادنا عما جاء به من الحق ، وهذا ما لاسبيل لنا إلى علمه ، وإنما يعلمه الله الذى وسع كل شئ علما وهو الذى نتوكل عليه ، وقول شعيب وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله فالاستثناء هنا على جهة التسليم لله عز وجل ، والله لايخذل أولياءه أما من ناحيتنا نحن فلاندخل أو لانعود فى ملتكم حتى يلج الجمل فى سم الخياط ومستحيل أن يلج الجمل فى سم الخياط .

وهنا يقف شعيب عليه السلام والذين آمنوا معه وقفة التحدى للباطل المتغطرس واثقا بأنه مؤيد من الله سبحانه وتعالى ويقابل المعركة التى فرضت عليه وعلى قومه فرضا باللجوء إلى القوى القاهر يقوله ربنا باعد بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين .

• تحريض واستعداء :

﴿ وقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِه لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ ﴾هالكون ، لأنه يمنعكم التطفيف فى الكيل والميزان وهذا مما يؤثر فى ثروتكم، وعجبوا كيف ينهاكم عن ما كان يعبد آباؤكم من قبل وما دخله فى شئوننا، ودائما يكون ضغط الحكام الظالمين لايقبلون منافسا بينهم ، فإذا ثبت الداعى على المبدأ وتحمل الأذى هو وعائلته يتوجهون إلى أتباعه يشوهون سمعتهم ويسلطون عليهم علماء السوء وينذرون الملتفين حولهم بالعذاب هم وأسرهم خلف جدران السجون والمعتقلات .

ولكن أتباع الحق دائما صامدون ويعتبرون كل ما يصيبهم جهادا فى سبيل الله وأن النصر مع الصبر وإذا اشتد الكرب هان فأتباع الحق فى انتظار إحدى الحسنيين إما النصر وإما الشهادة . وطواغيت الباطل الذين يعادون الحق فى انتظار التدمير والهلاك .

• وجاء نصر الله :

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾

وجاء النصر للموحدين والعذاب للكافرين فأخذتهم الرجفة أى الزلزلة فأصبحوا فى دراهم جاثمين أى جثثا لاحراك فيها ويظهر بأن الرجفة أخذتهم ليلا على غرة وهم نائمون وهكذا كانت النتيجة هلاكهم فى لحظة وهكذا كل من يناصب شريعة الله العداء طال العمر أم قصر .

﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ﴾ أى انتهت حياتهم ومرّت أيامهم كلمح البصر لم يغن عنهم شئ من أموالهم وتجارتهم

﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴾ اى الذين آمنوا بشعيب كانوا هم المفلحين وصدق الله العظيم -إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد- «الآية ٥١» من سورة غافر

﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾أى بعد عن هذه الديار المدمّرة على أهلها وقال وكأنه يكلم أحياء: يا قوم لقد بلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فى عدم التطفيف فى الكيل والميزان وعدم التعرض للمؤمنين بالأذى فقابلتم الخير بالشر والهدى بالضلال

والنور بالظلام والرحمة بالعذاب فكيف الآن أحزن على قوم كافرين .

ثانياً : في سورة هود ٨٣ : ٩٥ قوله تعالى :

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾

قال بعض الرواة إن شعيبا عليه السلام كان أعمي واستدلوا على ذلك بقول قومه له وإنا لنراك فينا ضعيفا وهذا القول خطأ لأن الله لم يرسل رسولاً أعمى ولاأصم ولاأعرج ولاأقرع إنما يختار لرسالته أحسن الناس خلقا وخلقا ويكون أفصحهم لسانا وأحسنهم بيانا وأعظمهم مروءة وأفضلهم عشرة .

وهذا موقف آخر لشعيب عليه السلام مع قومه : وإلى مدين أى قوم قبيلة مدين أخاهم شعيباً اعبدوا الله مالكم من إله غيره وهى قاعدة التوحيد التى تبدأ بها جميع الرسالات فهى عليها مدار النجاة فى الدنيا والآخرة يأتى بعد الإيمان بها التشريع والأمر والنهى والحلال والحرام . وإن كانت رسالة شعيب قد اقترنت من مبدأها بقضية أخرى بعد قضية التوحيد ألا وهى قضية الأمانة فى المعاملات بين الناس وهى من أسس قضية التوحيد فقضية التوحيد توجب العدل فى كل شئ حتى فى الكلام .

نلاحظ فى آية الأعراف قول شعيب :

﴿ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ﴾ فهى دعوة مستمرة مع قومه دعوة بالحسنى لتلين لها القلوب القاسية التى مردت على الكفر والعصيان وأكل أموال الناس بالباطل إنى أراكم بخير أى فى سعة من الرزق . فقد كان أهل مدين وبلادهم تقع فى الطريق بين الحجاز والشام وكانوا يبخسون الناس أشياءهم وهى رذيلة تمس الشرف والمروءة وكانوا بحكم موقع بلادهم الاستراتيجى المتحكم فى الطريق البرى كانوا يملكون أن يقطعوا الطريق على القوافل فى ذهابها وإيابها بين شمال الجزيرة وجنوبها وكانوا يفرضون ما يشاءون من المعاملات الجائرة التى نهاهم عنها شعيب وحذرهم منها بقوله : إنى أخاف عليكم عذاب يوم محيط - أى إذا نزل سيحيط بكم ولا راد لنزوله إلا أن تعبدوا الله وحده وتوفوا وتزنوا بالعدل .

●وكان الحوار :

﴿ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ شعيب عليه السلام ينادى المرة بعد المرة بنداء القرابة والقربى : ياقوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط وقد رزقكم الله من الخير الكثير ولستم محتاجين إلى أكل أموال الناس بالباطل ولاتبخسوا الناس أشياءهم أى ولاتقدروا بضائع الناس تقديراً سيئاً أقل من الثمن المعقول فإيفاء الكيل والميزان

والعدل خير عند الله من الكسب الحرام الذى يسبب الحقد والبغض بين الناس والعذاب الشديد فى الآخرة . ولاتعثوا فى الأرض مفسدين أى ولاتشيعوا بعملكم هذا فى الأرض الفساد فنقض الكيل والميزان فساد فى الأرض وفساد فى الضمائر .

﴿ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾أى ما عند الله خير وأبقى وأكثر بركة مما تدخرونه من الحرام ثم يبين لهم أنه لايملك لهم شيئاً إذا وقع عليهم العذاب بإعراضهم عن وصية الله لهم وكذلك ليس موكلا بحفظهم من الضلال إنما عليه البلاغ وقد بلغتكم ما أمرني الله به :

﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾هذا التهكم القبيح والسخرية اللاذعة بنبى يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن الفساد فإن هذا المال الذى يتداولونه فيما بينهم هو فى الحقيقة مال الله أودعه أمانة فى أيديهم لينظر ماذا يفعلون به فى الحياة الدنيا وإن عبادة الله وحده يتبعها التشريع الربانى فى المعاملات وفى جميع شئون الحياة ، ثم يقولون له إنك لأنت الحليم الرشيد وهى جملة كلها استهزاء ومجون كما تقول لرجل ملتاث فى عقله مرحباً بك أيها العاقل اللبيب وأنت تريد خلاف ذلك .

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾بما أنعم الله على بالرسالة ورزقنى منه رزقا حسنا وهو المال الذى أعطانيه وأتعامل به مع الناس بالحق والعدل ، وقد بارك الله لى فيه وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه أى انهاكم عن التطفيف فى الكيل والميزان وأتعامل من خلفكم بالتطفيف لأحقق مصلحة خاصة لى إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت أى الإصلاح العام فى العبادة بتوحيد الله وحده وتنفيذ شرعه فى المعاملات بين الناس ليعود بالخير العميم على كل فرد من أفراد المجتمع ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ، فهو الموفق إلى ما فيه سعادة الإنسان وفوضت أمرى إليه وحده أرجع فيما يحزننى وما يسرنى :

﴿ وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴾ أى لايحملنكم الخلاف معى والعناد فى مواجهتى ومعاداتى على ترك الإيمان بالله وحده والعمل بشريعته فيصيبكم ما أصاب الكفار من قبلكم ، وقرى قوم لوط قريبة منكم فى المكان والزمان .

﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾وهنا يفتح شعيب أمامهم

باب الاستغفار أولاً ثم التوبة مما ارتكبوه من عبادة غير الله وأكل أموال الناس بالباطل والتوبة تجب ما قبلها إن ربى رحيم ودود وهما من أسماء الله الحسنى رحيم بكم إذا عدتم إلى الحق ودود من المودة لكم إذا خفتم من عذابه :

﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ لأن أكثر كلامك لانفقهه لأنك تطالبنا بأن نؤمن بشئ لم نعرفه ولاسمعنا به من قبل ذلك إنهم يغفلون غيرة الله على أوليائه فلا يضعونها فى حسابهم .. وربما اختلطت على الرواة بين شعيب النبى وشعيب صاحب موسى ، وما أنت علينا بعزيز أى وما أنت علينا بغالب ولاقاهر ولاممتنع ، فأنت فى قبضتنا وتحت يدنا .

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾

قال يا قومى أرهطى أى عشيرتى وأهلى فى قلوبكم أعز وأقوى من الله وتخافون أن ترجمونى ولاتخافون من الله الذى خلقكم ورزقكم تخشون رهطى ولاتخشون الله القاهر فوق عباده ،اتخذتموه وراءكم ظهريا أى اتخذتم ما جئتكم به من الله وجعلتموه وراءكم ظهريا ، وامتنعتم عن قتلى ورجمى مخافة قومى ، وهم لايعنون رهطه أى اتباعه الذين آمنوا به وهم قلة إنما يعنون رهطه أى قومه وعشيرته وإن كانوا على الكفر فإنهم سيدافعون عنه عصبية كما كانت تدافع بنو هاشم عن النبى صلى الله عليه وسلم عصبية مع أنهم على الكفر . إن ربى بما تعملون محيط . تهديداً لهم من بأس الله فهو متوكل على الله ملتجئ إلى حصنه الحصين وهو واثق من نصر الله له وللذين آمنوا معه ويعتمد على الله لاعلى عشيرته إن ربى بما تعملون من الكفر والمعصية وظلم الناس محيط فهو بكل شيئ المحيط بجميع خلقه .

• شعيب يفوض الأمر إلى الله :

﴿ وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ ﴾ أى سيروا فى طريقكم فقد انقطعت الصلة بينى وبينكم فإنا على طريق الهداية وأنتم على طريق الضلال ، والآن نحن فى انتظار حكم الله ومن الذى سيأتيه عذاب يخزيه أى يهلكه وسيظهر من هو كاذب ممن هو صادق .

﴿ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾ وانقطعت الدعوة ولم يبق إلا مراقبة الكارثة التى ستحيط بالكاذب .

﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا ﴾

أى بتنفيذ الحكم نجينا شعيباً والمؤمنين معه بسبب سماعهم لنصيحة نبيهم

شعيب عليه السلام ، ثم أهلك الكافرين .
﴿ وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين ﴾ ففى سورة الأعراف قال تعالى عن قوم شعيب : فأخذتهم الرجفة وفى سورة هود قال تعالى : فأخذتهم الصيحة ويظهر أن الرجفة هى الزلزلة ثم تأتى الصيحة عليهم فلاتبقى على حياة أحداً منهم فأصبحوا في دارهم جاثمين خامدى الحركة
﴿ كأن لم يغنوا فيها ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود ﴾
كأن لم يغنوا فيها فقد مر معناها ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود أى قوم ثمود .

ثالثاً : فى سورة العنكبوت من ٣٦ : ٣٧ يقول تعالى :
﴿ وإلى مدين أخاهم شعيباً فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾ وهذا موقف آخر من مواقف شعيب عليه السلام مع قومه أهل مدين وذلك بخلاف أصحاب الأيكة فإنه لم يكن منهم إلا أن الله أرسله إليهم لقرب المسافة بينهم وبين قرى مدين ، فقال : ياقوم اعبدوا الله وهى دعوة جميع الأنبياء والرسل فعليها تقام الشريعة فى كل أمور الحياة ولاتعثوا فى الأرض مفسدين .
﴿ فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين ﴾فكذبوا بما حذرهم منه فأخذتهم الرجفة وهو الزلزال الذى يرجف بهم فيكون الدمار الشامل لهم ولأموالهم التى اغتصبوها من عباد الله بظلمهم فى الكيل والميزان وهكذا نهاية كل ظالم باغ لايؤمن بالله ولاباليوم الآخر .

رابعاً : فى سورة الشعراء من الآية ١٧٦ : ١٩٠ يقول تعالى :
﴿ كذب أصحاب الأيكة المرسلين ﴾ أى أصحاب البلاد التى يكثر فيها الشجر وهم قوم غير قوم مدين الذين كفروا بنبيهم شعيب عليه السلام ثم أهلكهم بعد ذلك ثم أرسله الله إلى أصحاب الأيكة وهم قوم يعيشون قريباً من قرى مدين التى دمرت ولذلك يكون شعيب عليه السلام أرسل لأمتين : أهل مدين وأهل الأيكة وهو ليس منهم ، وإن كانت بلادهم وقراهم قريبة من بلاد مدين وقراها وكانوا يعاملون الناس بنفس معاملة أهل مدين من تطفيف الكيل والميزان وبخس أموال الناس وكلهم متفقون على ذلك فيضطر البائع لبيع سلعته بثمن أقل من قيمتها بغى منهم وإفساد وكانوا يأخذون بالقوة والغصب زائداً عن حقهم ويشترون بها بضائع الناس بثمن أقل ويبيعونها بثمن أعلى .

كذب أصحاب الأيكة المرسلين وليس معنى أن الله أرسل لهم جملة من الرسل إنما تكذيبهم لرسول يعتبر تكذيبا لجميع الرسل ، كما أن الإيمان برسول إيمان بجميع الرسل .

﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ ﴾ لقد كانت معاداتهم لعبادة الله وكراهتهم للعدل والرحمة مثل أهل مدين ، وقول شعيب تتقون تخويف لهم من الأعمال التى تفسد الأخلاق وتكون سبباً لعداوة الإنسان لأخيه الإنسان وتنمية الحقد والكراهية في القلوب .

﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ مرسل إليكم من الله لأبلغكم رسالته بكل أمانة :

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ أى خافوا الله وأطيعونى فى كل ما آمركم به وأنهاكم عنه ففى طاعتى طاعة لله وطاعة الله فيها خير الدنيا والآخرة وإنما كان جواب هؤلاء الرسل إلى أقوامهم واحداً على صيغة واحدة لأنهم متفقون على الأمر بالتقوى والطاعة والإخلاص في العبادة والامتناع عن أخذ الأجر على تبليغ الرسالة لأن الداعي على الراسل لاعلى المرسل إليهم :

﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ إنما أدعوكم لعبادة الله وحده لأنه هو الذى يستحق العبادة دون غيره ، لأن الكل عباده فلا يجوز لأحد من مخلوقاته أن يشاركه فى العبادة فهو خالق الكل وهو المحيى والمميت لارب سواه ولا أطلب منكم أجرا على دعوتى إنما أجرى على الله رب العالمين .

● الداء والدواء :

﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴾ هى نفس دعوته لقومه أهل مدين ونلاحظ هنا بأن « شعيب »كان يقول لأهل مدين ياقوم - ولم نلاحظ فى دعوته لأصحاب الأيكة أن قال لهم ياقوم أبداً وتلك ملاحظة لم أجدها فى كتاب من كتب التفاسير أو كتب قصص الأنبياء والحمد لله رب العالمين . . أوفوا الكيل للناس ولاتكونوا من المخسرين - الناقصين للكيل .

﴿ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ وشعيب عليه السلام يطالبهم بكيل عادل وميزان عادل لهم وعليهم وهم يعرفون الحقيقة بكونهم مخسرين ، ولذلك قالوا له يا : شعيب أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء .

﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾

هى نفس الدعوة وبنفس الأسلوب الهادى الرزين بالذى أرسله ، ولاتنشروا الفساد في الأرض :

﴿ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴾ واتقوا الذى خلقكم أى خافوا عقابه وأطيعوا فهو الذى خلقكم والأجيال السابقة عليكم أى الذين سبقوكم من لدن أبيكم آدم عليه السلام إلى يومكم هذا إلى أن تقوم الساعة :

﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾ أى هذا كلام المسحورين الذين ذهبت

عقولهم فلا يدرون ما يقولون : ﴿ وَمَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ هم يظنون أن الذى يرسله الله لا يكون بشراً إنما يكون ملكا من الملائكة ، ولو أرسل الله لهم ملكا ما استطاعوا رؤيته إذ لابد أن يكون بشراً مثلهم ومن أوسطهم ويأكل ويشرب كما يأكلون ويشربون ، وله أزواج وزينة مثلهم وإن كان أفضلهم وأتقاهم وأبعدهم عن الحرام ، وان يكون قدوة فى معاملة الناس سياسياً واجتماعيا وأخلاقيا ، وان يأمر قومه بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويربيه الله على عينه من الصغر حتى لايستطيعوا أن يقذفوه بأى نقيصة .

● يطلبون عذاب الله من شعيب :

وإنا نعتقد بأنك من الكاذبين تريد أن تكون لك الزعامة والرياسة علينا ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾

تحدى المستهتر بعذاب الله فبدلاً من أن يطلبوا من رسولهم أن يسقط عليهم أمطارا ليسقوا أنفسهم ومواشيهم وزراعاتهم ويعمهم بالخير والرحمة يطلبون أن ينزل عليهم كسفا أى قطعا من النار حتى يكون صادقاً فى دعواه ﴿ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

وليس العذاب الذى سألتموه عندى بل عند الله فهو ينزله عندما يريد . ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ فكذبوه على أنه ليس برسول وأنه لن ينزل عليهم عذابا كما حذرهم فأخذهم عذاب يوم الظلة وهو أن الله سبحانه وتعالى حبس عنهم الريح فاشتد عليهم الحر فأرسل عليهم غمامة فتجمعوا تحتها رجالهم ونسائهم وأطفالهم ومواشيهم فأحسوا تحتها بالجو اللطيف فلما تكامل جمعهم وصار الكل تحتها تساقطت عليهم النيران وأرجفت بهم الأرض .

● وجاءت العبرة :

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

إن فى ذلك لعبرة لمن يعتبر ويؤمن بأن الله هو المعبود بحق وهو الخالق والرازق والمحيى والمميت بيده كل شيئ ، ولكن أكثر الناس لايؤمنون وذلك بسبب سيطرة الحكام الطواغيت الذين هم حجر عثرة فى طريق الذين يريدون أن يتبعوا الحق ألا إنه حكم الفرد المسيطر على الحكم وعلى عقول الناس بوسائله الجهنمية من مقروءة ومسموعة ومرئية . .جعل الحق باطلاً والباطل حقاً . ولكن لابد للحق فى النهاية من أن ينتصر وتلك الأيام نداولها بين الناس .

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ العزيز الذى لايقهر والرحيم لمن تاب وآمن وعمل صالحاً .

موسى وهارون والخضر

عليهم السلام

مقدمة بين يدى القصة

● **فى سورة القصص الآية ١ : ٢٩**

﴿ طسٓمٓ * تلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ هو موسى بن عمران من ذرية يعقوب بن إسحاق عليهم السلام الذين استوطنوا مصر عندما كان يوسف عليه السلام وزيراً للتموين بعد أن ألقاه إخوته فى الجب والتقطه بعض السيارة الذين يسيرون فى هذه الطريق من مصر إلى فلسطين وبلاد الشام وبالعكس ، وكانت توجد فى الطريق آبار قام بحفرها أناس صالحون صدقة ليشرب منها المسافرون ، وكان الذى اشتراه هو عزيز مصر وحصل ما حصل مع زوجة العزيز ودخول يوسف السجن وخروجه بريئاً .

● **الحروف المقطعة فى القرآن :**

﴿ طسٓمٓ * تلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ ط س م هذه الحروف المتقطعة التى تأتى فى أوائل السور مثل ح م - ق ن - ا ل م - يس - ك هـ ى ع ص

يتحدى الله سبحانه وتعالى كفار مكة وهم أعلم الناس باللغة العربية أن يؤلفوا قرآنا مثل هذا القرآن من هذه الحروف التى ينطقون بها فعجزوا .. تلك آيات الكتاب المبين أى القرآن المبين للتوحيد والعبادة الحقة والحلال والحرام وما يصلح للناس فى حياتهم وبعد مماتهم .

﴿ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ الخطاب هنا موجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكون على علم بما حصل لليهود فى الأزمان الغابرة ليخبرهم ويواجههم بما حرفوا وبدلوا فى توراة موسى عليه السلام :

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ أى طوائف وأحزابا ليتناحروا فيما بينهم . ﴿ يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ ﴾ أى بنى إسرائيل : ﴿ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ أى لم يكن من المصلحين المقيمين للعدل بين رعيتهم مهما تعددت الأجناس والملل ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ وهم بنوا إسرائيل ونجعلهم هداة مهديين ونجعلهم الوارثين لشريعة الله فى الأرض ونمكن لهم أى نجعلهم دولة قوية .

﴿ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ أى نرى من الآيات الخارقة ونستدرجهم إلى إغراقهم ولا ينفعهم مكرهم بقتل الأبناء وترك النساء وفى هذا الوقت المتأزم الخانق ولدت أم موسى موسى وخافت عليه من أحد الجواسيس يقوم بتبليغ الشرطة فأوحى إليها ربها وهذا وحى إلهام وليس وحى نبوة .

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ أي البحر ، فأمرت نجارا يهوديا بعمل تابوت أى صندوق ووضعت الطفل الصغير فيه وألقته فى البحر : ﴿ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾

وهذه الآية من الإعجاز القرآنى جاء فيها أمران ونهيان وبشارتان ـ فالأمران هما ـ أرضعيه ـ وألقيه فى اليم ـ والنهيان هما ـ لا تخافى ـ ولاتحزنى ـ والبشارتان هما ـ إنا رادوه إليك ـ وجاعلوه من المرسلين .

وقد اعترف فصحاء مكة بأن هذا القرآن أعلاه مثمر وأسفله مغدق وأنه ليعلو ولايعلى عليه وأنه ليس من كلام البشر .

• موسى في قصر فرعون :

﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ ﴾ عند مرور التابوت بجوار قصر فرعون ﴿ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾ فى تدبير المولى جلت قدرته ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ بما دبرت لهم إرادة الله الحكيم العليم من هلاك على يد هذا الصغير ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ﴾ من السكون والاطمئنان والصبر ﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ ﴾ أى أوشكت أن تصرخ وهى ترى الموج يرفع التابوت ويخفضه ﴿ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾ بالسكينة والهدوء والصبر ﴿ لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي المصدقين لما أوحينا إليها به ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾اى سيرى على آثره ﴿ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾سياسة يهودية أى سارت على الشاطئ تنظر إلى التابوت من طرف خفى لئلا يشعر بها أحد .

وأخت موسى هذه لابد أن تكون خادمة فى قصر فرعون لخدمة امرأته لأن بنى إسرائيل أى اليهود كانوا أقلية بين آل البلاد أى الأقباط وهم الفراعنة ، وكانوا يعاملون اليهود معاملة سيئة كعبيد وخدم ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ ﴾ أي أصدرنا أمرنا من قبل ذلك بعدم امتصاص ثدى امراة ﴿ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ ﴾ أى يقومون بخدمته ورعايته ﴿ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾وهذا دليل قاطع على أن أخت موسى كانت تعمل فى قصر فرعون خادمة لامرأته حتى أنها تجرأت وقالت ذلك ، ولأنها كانت مقبولة لدى امرأة فرعون بالسياسة التى جبلوا عليها ولذلك استجابت لها واطمأنت لقولها .

﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ أى تطمئن وترتاح قريرة العين ﴿ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾عندما وعدها برجوعه إليها سالما ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾بهذا التدبير الإلهى .

• **ملاحظتان على هامش القصة :**

الأولى : في هذه الأجواء الهائجة والمصائب النازلة على بني إسرائيل لم يذكر عمران أبو موسى والظاهر بأنه توفي قبل ميلاد ابنه موسى .

الأخرى : فقد كانت مصائب موسى من فرعون ومصائب يوسف كانت من امرأة فرعون ، وسبحان المدبر في ملكه ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ وهذه الآية مقدمة على ما سيأتي لأن وجوده في مصر لم يبلغ الأربعين سنة لتنزل عليه الرسالة إنما نزلت عليه عندما كلمه الله عند الشجرة وأصبح موسى يقال له ابن فرعون وكان يسير في طول البلاد وعرضها لايعترضه أحد .

• **موسى يدافع عن بني جلده :**

﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ أي فجأة ﴿ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ ﴾ أي من قومه بني إسرائيل الذين ولدوا قبل قرار قتل الأبناء ﴿ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ أي قبطي فرعون ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ وموسى معروف أنه من بني إسرائيل والكل يعرف ذلك وإن كان يطلق عليه بأنه ابن فرعون وتلك عناية الله التي أبقت عليه ﴿ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾ وموسى معروف بقوته وشدة بأسه ﴿ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ أي سول له قتل هذا الرجل ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ طلب من الله الغفران ، في هذا الوقت لم يكن موسى نبيا ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾ بغفرانك لي ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ ناصراً للمجرمين ﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ صدور قرار من فرعون ضده ﴿ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ﴾ ضد قبطي آخر ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ أي غاوى مشاكل وفتن على عادة اليهود ﴿ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا ﴾ أي القبطي وقد كان الخبر شاع في المدينة بأنه قتل أحد أبناء الوطن ، القبطي الفرعوني ﴿ قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ أي تريد أن تقتلني بدون أن تعرف من المخطئ ومن المصيب ما تريد إلا أن تكون جبارا على أهل الوطن وما تريد أن تكون من المصلحين كي تصلح بين المتخاصمين إنما تريد أن تعين أهل ملتك بني إسرائيل على أهل البلد الذين ربوك وآووك ولم يقتلوك .

﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ ﴾ أي يسير بسرعة ﴿ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ

الْمَلأُ ﴾ أى مجلس شورى فرعون ﴿ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ ويظهر بأن هذا الرجل إسرائيلى متخف فى صورة قبطى وله اتصال بالقيادة السياسية العليا كعادتهم فى التقرب بكل الحيل والسبل إلى الملوك والحكام والتجسس على أسرار الدولة ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ أى يرقب الطرق خوفا من القبض عليه ﴿ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ أى يطلب من الله أن يأخذ العيون عنه حتى يخرج من مصر سالما .

• موسى فى مدين :

﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ ﴾ وهى مدينة من مدن سيناء وكان خروج موسى من مصر من الناحية الشرقية عن طريق الإسماعيلية الآن ، لأنه لم يكن فى ذلك الوقت قناة السويس التى تحجز بين مصر وسيناء فكان الطريق مفتوحا ﴿ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ * وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ ﴾ أى البئر العام الذى يشربون منه ويسقون مواشيهم ﴿ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ﴾ أى وجد عددا كبيرا من الناس يسقون مواشيهم ليعودوا إلى منازلهم ﴿ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾ أى تمنعان غنمهما أن يختلط بغنم القوم ، وكان الذين يقومون بمهنة رعى الأغنام فى هذا الزمان هم الرجال ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ﴾ أى ماذا تريدان؟ ﴿ قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ﴾ أى لانختلطان مع الرجال حتى يسقوا ويذهبوا ، ثم نسقى نحن غنمنا ، وربما سألهم عن سبب خروجهما لرعى الأغنام مع أنها مهنة الرجال والشباب فقالوا : ﴿ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ أى طاعن فى السن وقيل إنه كان ضريرا لايقدر على أن يقوم بالرعى ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ﴾ وهذه من قواعد المجتمع الإسلامى الفاضل فإذا خرجت امرأة لقضاء حاجة لها وتكون الحاجة ضرورية فعلى المجتمع المسلم أن يقضى لها حاجتها قبل الرجال لترجع إلى بيتها معززة مكرمة ﴿ ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ ﴾ ويظهر بأن موسى كان جائعا وهو فى مجتمع لايعرفهم ولايعرفونه ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ والجائع يطلب أى شئ يسد جوعه فاستجاب الله له ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ﴾ أى تمشى محتشمة تكسوها الفضيلة والوقار كلها حياء والحياء من الإيمان كما يقول سيد ولد عدنان عليه أفضل الصلاة والسلام ﴿ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ لأن البنتين عادتا إلى المنزل مبكرتين على غير عادتهما فلما سألهما أبوهما عن السبب قالوا له : إن هناك رجلا فاضلا سقى لنا قبل الرجال فأرسل إحداهما لتأتيه به ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ وشعيب هذا ليس شعيب النبى إنما هو

رجل صالح والظاهر بأن سيناء فى ذلك الوقت لم تكن تحت سلطة فرعون مصر : ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴾ شهادة له بشجاعته لأنه رفع الدلو الكبير الذى لايرفعه إلا عدد من الرجال بمفرده ، وقولها الأمين لأنه لم يوجه لهما كلمة نابية أو كما قيل بأنه طلب منها أن تسير خلفه وتدله على الطريق وأن لايسير الرجل خلف امرأة إن استطاع ذلك كما يقول الإمام الشهيد حسن البنا ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ ﴾ أى أريد أن أزوجك بنتا من بنتى هاتين ﴿ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ ﴾ أى تعمل عندى ثمانى سنوات هى مهر ابنتى ، ويظهر بأن مهور البنات كانت غالية جداً بسبب كثرة الذكور وقلة الإناث ﴿ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ﴾ أى إذا أتممت عشر سنوات فذلك من كرمك ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الأَجَلَ ﴾ سواء الثمانى أو العشر ﴿ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ﴾ أى زوجته يريد أن ينتقل إلى مكان ويستقل بمعيشته ﴿ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا ﴾ .

• موسى فى الوادى المقدس

فى سورة طه الآية ٩ : ٧٣

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴾ الخطاب موجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ إِذْ رَأَىٰ نَارًا ﴾ فى نظره فهى ليست نارا ﴿ فَقَالَ لأَهْلِهِ ﴾ أي زوجته ﴿ امْكُثُوا ﴾ أى انتظروا ﴿ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ ﴾ أى بقطعة من النار للتدفئة ، ويظهر أن الوقت كان شتاء ﴿ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾ يعنى دليلاً على طريق المدن والقرى يريد أن يكون حراً فى معيشته بعيداً عن صهره الرجل الصالح ولكن ليقضى الله أمراً كان مفعولا ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ﴾ أى أتى إلى النار فلم يجدها ناراً وإنما وجد عموداً من نور متصل من السماء إلى الشجرة . نودى يا موسى ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ أي وادى طوى المقدس ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴾ وهنا بدأت الرسالة ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي ﴾ ولأن موسى لم يكن يعرف من عبادة الله إلا ما سمعه من قومه من بنى إسرائيل من كبارالسن فى مصر وهى عبادة محرفة ومشوهة ، الباقية من صحف إبراهيم عليه السلام وقد عفا عليها الزمن فأصبحت عبادة لاخير فيها .

والآن بدأت الرسالة الجديدة على سيدنا موسى عليه السلام لبنى إسرائيل ، فاعبدنى ولاتتوجه لعبادة غيرى كما توجه بنو إسرائيل منهم من عبد العجل تقليدا لأسيادهم الفراعنة ودائما المغلوب يتبع دين الغالب وثقافته وعاداته ،

ومنهم من تعبد بالبقية من صحف إبراهيم التى وصلتهم محرفة ومبدلة والصلاة هنا يعني بين العبد وربه وبما يلهمه الله من توجيه سليم : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ فهي في ذاكرة كل مؤمن أى القيامة يراها رأى العين في الإحياء والإماتة بل في كل شئ من مخلوقاته فهي ماثلة وظاهرة أمام كثير من الناس الذين آتاهم الله بصيرة يرون الساعة أى القيامة أكاد أخفيها عن قوم طمست بصائرهم وعميت قلوبهم فلايرون إلا هذه الحياة الدنيا ولايرون ما بعدها، لتجزى كل نفس بما تسعى : ، إن خيراً فخير وإن شرا فشر ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ أي فلا يصدنك عنها أهل الكفر والشرك الذين لايرجون لقاءنا واتبعوا أهواءهم بما توسوس لهم به الشياطين فتردى فتسقط كما سقطوا .

ويظهر أن موسى شعر بشئ غريب في حديثه مع الله إذ سمع كلام الله بكل جوارحه ، ليس بأذنيه فقط كما نسمع أصوات المخلوقات ، فأخذه الخوف فأراد الله أن يثبته ويطمئنه فقال له : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴾ فالله أعلم بما في يمينه ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ ﴾ أى عصا عادية مثل كل العصى ﴿ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا ﴾في سيرى ﴿ وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي ﴾ ولم يقل أضرب بها غنمى لأن الراعى يجب أن يكون رحيماً لطيفاً راعى غنم أو راعى إبل أو راع في أهل بيته أو راع لشعبه لأن الرحمة مطلوبة في كل شئ حتى في الذبح ﴿ وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴾ لم يذكرها ولاداعي للبحث والتنقيب في صدر موسى عليه السلام فالله أعلم بتلك المآرب ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾ أي تجرى بسرعة وتتلوى وقد خاف موسى من تغير طبيعتها من نبات إلى جسم من لحم ودم: ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴾ أي ضع يدك عليها وأمسكها ، وموسى خاف من رؤيتها فكيف يمسكها ، قال له ليثبت قلبه : سنعيدها سيرتها الأولى » أى سنصيرها إلى ما كانت عليه .

في سورة القصص ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ * اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ وهي آيات معجزات يريد الله تعالى بها أن يثبت قلب موسى لأن موسى لم يقل للعصا كونى كذا ولكن الله الذى يقول لها كونى كذا فما على موسى إلا أن يلقى العصا والله سبحانه وتعالى يحولها إلى ثعبان أو إلى حية تسعى أو إلى جان حسب مشيئته ليتدرب موسى على تلك الآيات المعجزات ، التى سيواجه بها فرعون وقومه ليعرض عليهما الرسالة السماوية مؤيدة بتلك المعجزات التى لايستطيع ردها ليعود هو وقومه وجنوده إلى حظيرة عبادة الله بدلا من أن يقول : أنا ربكم الأعلى .

● **موسى يعود إلى فرعون رسولا :**

يقول تعالى ﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ وهنا يطلب موسى من ربه ما يتقوى به لمقابلة فرعون هذا الطاغى المتكبر ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾ فاستجاب الله له ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ * وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴾ هذه هى الطلبات التى طلبها موسى من ربه ليتقوى بها على ما هو مقدم عليه من مجابهة طاغية عصره : فرعون وأعوانه .

* وهنا يذكر الله موسى بنعم الله عليه منذ ولادته حتى الاصطفاء :

﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ * أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي * إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ * وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ يذكره الله بما مضى من رعايته له فى كل أحواله من مولده إلى مجيئه إلى هنا ولتعلم بأنك تحت رعايتى وكفى أنى نجيتك من كل ما مر بك من مصائب ومحن ، وفتناك فتونا أى امتحناك امتحانا شديدا لتوطن نفسك على الشدائد التى ستتعرض لها فى مهمتك المقبل عليها .

﴿ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي ﴾ أى بمعجزاتى ﴿ وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴾ أي لاتتمهلا فى أمرى : ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ أى تجبر وتكبر على خلقى وشاركنى فى ربوبيتى بقوله : « أنا ربكم الأعلى » : ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ وهذه توجيهات يجب أن يتحلى بها الداعية إلى الله الذى يدعو إلى دين الله يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحذر الناس من عاقبة الظلم والطغيان خصوصا أمام الحاكم الذى بيده السلطة لأنه لايقبل من يوجهه بالعنف والشدة فى العلن وأمام الحاشية إنما يجب على الداعى الحصيف أن يواجه الحاكم باللين والتلطف على انفراد لعله يتذكر بما مضى من عقاب الظالمين والمفسدين ، وأن يخشى غضب الله ونقمته ويحببه فى العمل الصالح وحسن السيرة ، لأن الداعى إذا وعظ الحاكم أمام الناس بالعنف والشدة فسوف يمثل به لامحالة لأن الحاكم بيده القوة كما قال الطاغى الباغى زياد عامل معاوية على العراق ، أمام المجتمع : «لوجاءنى أحد وقال لى اتق الله لقتلته » وفى المقابل قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « رحم الله امرءا أهدى إلينا عيوبنا » وكذلك قال : « صدقت امرأة وأخطأ عمر » وهذه عينة من تصرفات حاكم عادل وحاكم ظالم فالعينة الثانية

اختفت الآن أما العينة الأولى فهي المتحكمة في ديار الإسلام هذا الزمان فيجب على الداعي أن يكون لبقا وحكيما في دعوته للحاكم .

ونعود إلى موسى وفرعون ﴿قالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ لأننا سننتزع منه الربوبية ونجعله عبدا لك .. لا يستعبد الناس : ﴿قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ أي كونا مطمئنين وأنتما : في رعايتي تحت سمعي وبصري ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾ أي الأمان على من اتبع الهدى في الدنيا والآخرة ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ﴾ بهذه الآيات أي المعجزات التي أرسلها الله ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ أي أعرض عنها ولم يقبل النصيحة والموعظة التي جئناك بها من عند الله : ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ﴾وهو سؤال استنكاري يعني هل لكم رب غيري ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ أي ربنا الذي ييسر لمخلوقاته طريق الخير والشر ، ثم هدى أهل الخير إلى الطريق المستقيم بعملهم الصالح وهدى أهل الشر إلى طريق جهنم بأعمالهم السيئة ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَىٰ﴾ يريد من موسى أن يسرد عليه التاريخ الماضي ويحول الموضوع إلى جهة أخرى : ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى﴾ أي مسجلة أعمال أهل القرون الأولى في كتاب لايضل ربي أي لاتختلط عليه أعمال البشر ولاينسى منها مثقال ذرة ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ أي جعل لكم الأرض ممهدة صالحة للسكنى ، وجعل فيها طرقا تسيرون فيها وأنزل لكم من السماء ماء لتشربوا وتسقوا أنعامكم ، وأخرج لكم بهذا الماء أنواعا من الطعام والفاكهة : ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾كلوا مما أنبتنا لكم من الأرض وارعوا كذلك أنعامكم » : ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لأُولِي النُّهَىٰ﴾ لأصحاب العقول الناضجة الواعية التي تتفكر في صنعة الخالق ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾أي من هذه الأرض التي تسيرون عليها وتأكلون من نباتها خلقناكم وبعد بلوغ نهاية الأجل نعيدكم فيها أي في باطنها وعندما ينفخ في الصور نخرجكم منها مرة أخرى :﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ﴾ أي آيات العصا واليد ، والجيب هنا هو فتحة الصدر لا الجيب المعروف لنا الذي نضع فيه حاجاتنا مثل قوله تعالى - وليضربن بخمرهن على جيوبهن . اي تضع خمارها على فتحة الصدر ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ﴾ أي تريد أن تسيطر أنت وقومك بنو إسرائيل على أرضنا بسحرك يا موسى ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ﴾ فهو يظن بأن هذه المعجزات سحر .

﴿ فاجْعَلْ بيْننا وبيْنك موْعدًا لاَّ نُخْلفُهُ نحْنُ ولا أنت مكانًا سُوى ﴾ ولم يأمر فرعون بقتل موسى وهارون لأنه توهم أن المناظرة التى تم الاتفاق عليها سينهزم فيها موسى أمام السحرة الذين سيجمعهم وهم كثرة ﴿ قال موْعدُكُمْ يوْمُ الزِّينة ﴾ وهو يوم عيد عند الفراعنة :﴿ وأن يحْشر النَّاسُ ضُحى ﴾ لرؤية تلك المناظرة التى ستتم بين موسى وهارون الاسرائيليين من جهة وبين السحرة المهرة من جهة أخرى ﴿ فتولَّىٰ فرْعوْنُ فجمع كيْدهُ ثُمَّ أتىٰ ﴾ فذهب فرعون إلى قصره ليفكر ويتدبر مع ملأه وقال وزراء فرعون ﴿ أرجه وأخاه ﴾ أى أخره هو وأخاه .

• وكانت المواجهة :

﴿ وابعث فى المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم ﴾ أى أرسل أمراءك فى المدائن أى مدائن مصر ليأتوك بأمراء السحرة وأعلمهم بهذه المهنة ليجابهوا سحر موسى ، وجاء الميعاد وجلس فرعون وحاشيته فى صدر السرادق الذي جهز له ، واجتمع الشعب واصطف السحرة وهم فى نشوة يظنون أنهم سينتصرون لا محالة ، لأنهم أصحاب هذا الفن لايجاريهم فيه أحد :

﴿ فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين ﴾ فهم يتكلمون من موقع القوة وأنهم لابد منتصرون ويريدون أن يعرفوا أجرهم مقدما : ﴿ قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين ﴾ أى مقربين لنا فى مجلسنا .

﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴾ فموسى مطمئن بأن الغلبة ليست للسحر ، بل للمعجزة ﴿ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ ﴾ فرعون وملأه يتشاورون فى أمر موسى وهارون ﴿ قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴾ أي أن هذين لساحران يريدان أن يسيطرا على أرضنا ويخرجانا منها أى يخرج القيادة الحاكمة الظالمة المتفرعنة لا أن يخرج الشعب كله - ويمحى سلطتنا وشريعتنا الممتازة : ونادى فرعون فى السحرة وقال ﴿ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴾ أي اجتمعوا على رأى واحد وقد أفلح من انتصر ، ولا زال فرعون واثقا من النصر لأن عصا واحدة لموسى لن تستطيع أن تغلب مئات العصى والحبال .

• وجاء وقت المبارزة :

﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴾ والواثق بالنصر لايبالي بأن يلقى أولا أو يلقى ثانيا فالنصر حليفه في كلا الحالتين ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ وأصبح الميدان الفسيح كله

ثعابين وحيات تسعى ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ ﴾ عندما رأى هذا المنظر المرعب المخيف ﴿ قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَىٰ ﴾ بمعية الله لك ورعايته بك :
﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ ﴾ أي العصا وهي دائما في يمينه ﴿ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ﴾ أى تبلع كل الحيات والثعابين ﴿ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾
أى أنها صناعة بشرية مثل كل الصناعات ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا ﴾ الله أكبر إيمان وليد لحظة فقد علموا بأن عصا موسى ليست سحرا وهى تنقلب إلى ثعبان فيبتلع كل ماصنعوا ، عندئذ عرفوا بأنها معجزة من الله وهم أعلم بالسحر من غيره ، وأن موسى رسول من عند الله مؤيدا بتلك المعجزة الربانية مع أنهم لم يروا بقية المعجزات الأخرى :
﴿ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ * قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ﴾ وكأن الإيمان بالله يحتاج إلى إذن من فرعون ﴿ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ﴾مع أن موسى لم يجتمع مع السحرة فى شبابه أيام مكوثه فى مصر :﴿ فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ ﴾ أى قطع الرجل اليمنى مع اليد اليسرى وقطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى ﴿ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ وأترككم معلقين هكذا حتى يأتيكم الموت ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾ نحن أم الإله الذى آمنتم به :
﴿ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ ﴾ أى لن نفضلك على ما ظهر لنا من قدرة الله : ﴿ وَالَّذِي فَطَرَنَا ﴾ أى الذى خلقنا ﴿ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ أى نفذ ما تريد من عذابنا فسوف تأتينا رحمة الله يعنى الموت ثم ننتقل بعد هذا إلى دار النعيم وهذا فرق كبير بين عذاب تدركه رحمة الموت وعذاب ليس بعده موت فى انتظارك .
﴿ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾
ويظهر بأن فرعون كان يستعلمهم فى مآرب أخرى مثل التفريق بين الناس وأن يخوف بهم من يناوئونه وذلك قولهم وما أكرهتنا عليه من السحر ، وما عند الله خير وأبقى مما عندك .
وفى سورة الشعراء الآية ٢٩ـ ٣٤ قال فرعون لموسى
﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ * قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ أى فى دعواك بأنك مرسل من عند الله
﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ * قَالَ لِلْمَلإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ أى ساحر متمكن من صنعته .
وفى سورة يونس عليه السلام الآية ٨٣ ـ ٨٦ قال تعالى : **﴿ فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملائهم أن يفتنهم وإن فرعون لعال فى**

الأرض وإنه لمن المسـرفين ﴾ انحاز بعض من بنى إسرائيل إلى موسى مع خوفهم من فرعون أن يفتنهم أى يعذبهم بظلمه وجبروته ﴿ **وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين** ﴾ أى سلموا أمركم إلى الله فهو ناصركم ﴿ **فقالوا على الله توكلنا ربنا لاتجعلنا فتنة للقوم الظالمين** ﴾ أى لا تجعلنا هدفا لتعذيبهم ﴿ **ونجنا برحمتك من القوم الكافرين** ﴾ أى كافرين بنعمتك وربوبيتك .

وفى سورة غافر الآية ٢٣ : ٢٧

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا ﴾ أى بالمعجزات ﴿ قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ ﴾ **وهذا قرار آخر يصدر بقتل الأبناء وترك البنات من بنى إسرائيل .**

فالقرار الأول كان لمنع ظهور موسى الذى سيقوض ملك فرعون وقد ألغى القرار بعد ظهور موسى أما القرار الثانى فهو نكاية فى الذين آمنوا لموسى .

• فرعون يهدد بقتل موسى .. وهيهات :

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ **هكذا كل حاكم طاغ جبار يستعبد رعيته بالحديد والنار فإذا جاء داعى الخير يدعو المجتمع إلى الخير وإقامة شرع الله أذاع بين رعيته بأن هذا الداعى يريد أن يبدل ما أنتم عليه من عادات وتقاليد ليشوه سمعة الداعى إلى الخير ، وأنه يريد أن يظهر فى الأرض الفساد ، وهو أصل الفساد وهو الذى يبدل دين التوحيد إلى عبادة البشر** ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لاَّ يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ **أى أنى التجأت إلى الله الذى ينجى المؤمنين من كل ظالم لايصدق بأن هناك بعد هذه الدنيا حسابا وعقابا .**

وفى سورة يونس ٨٧

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ **فبعد انهزام فرعون فى المناظرة بينه وبين موسى بدأ يفكر فى كيفية قتل موسى ومن معه .**

وموسى من ناحيته يجتمع بقومه الذين آمنوا معه ويحثهم على الصبر والصلاة يعنى الدعاء فالصبر نصف النصر والصلاة أى الدعاء هو الصلة بين العبد وربه ، ؛ كلما كانت الصلة بالله قوية كانت معية الله له بالنصر أقوى ، وفى هذا الوقت لابد أن يفكر فرعون فى شئ يلهى به شعبه لينسيهم هزيمته على يد موسى ،

وفى سورة غافر الآية ٣٧ قال فرعون :
﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ﴾

وجاء فى سورة القصص الآية ٣٨
﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ بمعنى يا هامان أجمع لى العبيد بالألوف ليجرفوا لى الأرض وليبنوا بناء عاليا كالأبراج ، ولاشك أن هذه العملية تستغرق أكثر من عشر سنوات وفى هذه المدة يكون الشعب أى شعب فرعون قد نسى الهزيمة الماحقة التى أصابت ربهم فرعون على يد موسى عليه السلام .

وفى سورة الأعراف الآية ١٢٧ قال تعالى ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ﴾ أى ألوهيتك ﴿ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ بكثرة أعدادنا وعدتنا .

وفى سورة المؤمنين الآية ٤٧ ﴿ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴾ وهنا سقط فرعون وقومه واعترفوا بألسنتهم أن فرعون بشر مثل موسى وهارون ، وقولهم وقومهما أى بنوا إسرائيل لنا عابدون ، أى مطيعون خاضعون مذللون لخدمتنا وليس معنى «عابدون » أى يصلون لنا ويصومون

• **مشاهد قصة موسى فى سورة الشعراء**

الآية ١٨ : ٢٢ يقول فرعون لموسى : ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا ﴾ أى ربيناك فى قصرنا وأنت طفل ولم نقتلك ﴿ وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ أى بقيت عندنا حتى كبرت وترعرعت﴿ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ ﴾ أى قتلت أحد أبنائنا﴿ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾بنعمة من رباك وحماك قال موسى﴿ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ أى المخطئين ﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ ﴾ من أن تقتلونى﴿ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾أى أنعم الله على برسالته لى وجعلنى من أنبيائه المرسلين ، وكذلك رد موسى على فرعون عندما ذكره بتربيته فى قصره واستثناه من القتل بقوله ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ ﴾ أن تركتنى ولم تأمر بذبحى تذكرنى بذلك ﴿ أن عبدت بنى إسرائيل ﴾ وجعلتهم عبيداً لك تستخدمهم فى أحقر الأعمال .

وفى هذا الوقت المشحون بالعواصف الهوجاء بنيما كان فرعون يخطط لتلهية شعبة ومن ناحية أخرى يخطط لقتل موسى ومن معه وموسى من ناحيته يخطط لتجهيز قومه مادياً ومعنوياً إذ أرسل الله إلى فرعون وقومه ما يربكهم .

ففى سورة الأعراف الآية ١٣٣ - ١٣٥ قال تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ

وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴾ فلم يذعنوا للحق وقد تشبعت قلوبهم بالإجرام ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ ﴾ يعنى هذا العذاب ، قالوا ذلك من دعاء موسى علينا ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ﴾ بما لك من صلة به ﴿ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ ﴾ أى العذاب الواقع بهم ﴿ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ۞ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ ﴾ أى إلى زمن هم واصلون إليه ﴿ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾ أى نقصوا الاتفاق الذى تم بينهم وبين موسى على أن يؤمنوا به ويرسلوا معه بنو إسرائيل ، يقول تعالى فى سورة الأعراف الآية ١٣٠ ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ وهذا العذاب ابتلام الله به .

أنواع العذاب التى وقعت على فرعون وقومه :

١	الســـنين	أى المجاعات العامة والجدب
٢	نقص الثمرات	بسبب ما يأتى عليها من الآفات
٣	الطوفـــان	وهو المطر الغزير الذى أهلك ماتبقى من زروع
٤	الجــــراد	الذى أكل الشجر وسعف النخيل ولم يبق على شئ أخضر
٥	والقـــمل	وهو مثل الناموس والبراغيث التى منعت عنهم النوم
٦	والضـــفادع	التى نغصت عليهم حياتهم حتى أنها كانت تقع فى طعامهم
٧	الـــــدم	وهو الرعاف الذى ينزل من أنوفهم

• **الأمر برحيل موسى وقومه :**

الشعراء ٥٢ : ٥٦

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾ وبدأت المسيرة المباركة في اتجاه الشرق وأخذ بنو إسرائيل معهم ما خف حمله وغلا ثمنة ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾كل مدينة أو قرية تقوم من جانبها برصد الهاربين : موسى وقومه﴿ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾أى جماعة صغيرة قليلة العدد خالية العدة ﴿ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴾ أى بخروجهم سالمين﴿ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴾ مصممون على القبض عليهم بكثرة جيوشنا وسلاحنا .

﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴾ أى بناحية الشرق عند خليج السويس تقريبا ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ ﴾ أى رأى موسى وقومه على البعد فرعون وجنوده فى أثرهم﴿ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ أى أدركنا فرعون وجنوده وتم حشرنا من الجهات الثلاث من الجنوب والغرب والشمال ، ولم يبق أمامنا إلا البحر من الشرق﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ أى لن يدركونا ومن كان الله معه فلايحزن « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب » وقف موسى وقومه على شاطئ البحر منتظرين فرج الله ـ وهو خليج السويس ـ لأن موسى عندما خرج من مصر هاربا كان من ناحية الإسماعيلية أو بورسعيد المعروفتين لنا الآن أى خرج بالطريق البرى إلى مدينة سيناء ولم تكن هناك قناة السويس.

ويعتبر مكان مدين الآن جغرافيا تابعا لمحافظة سيناء الشماليةوالنقطة التى وصل إليها موسى وقومه بعد نجاتهم من فرعون تعتبر من الناحية الجغرافية تابعة الآن لمحافظة سيناء الجنوبية وهنا كانت المفاجأة :﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ سبحان الله القادر على كل شئ :طريق فى وسط البحر وعلى الجانبين ماء جامد كالحائط العظيم وليس فى هذا الطريق ماء ليخوضوا فيه ولاطين لينزلقوا منه إنما هو طرق واسع وأرض يابسة .

وفى سورة طه ٧٧ : ٧٩

﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴾ فأنتم فى رعايتى وحفظى ولن يدرككم فرعون وجنوده ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ ﴾ أى البحر ﴿ مَا غَشِيَهُمْ ۝ وَأَضَلَّ

فرعون قومه وما هدى ﴾ وسار موسى وقومه حتى بلغوا الجانب الآخر واراد موسى أن يضرب البحر ليلتحم ماؤه حتى لايسير فرعون وجنوده فى أثرهم .فى هذا الطريق الممهد الذى فيه حتفهم وموتهم

قال تعالى فى سورة الدخان الآية ٢٤

﴿ واترك البحر رهوا إنهم جند مغرقون ﴾ فلما وجد فرعون وجنوده الطريق سالكا واطمأن سار فيه هو وجنوده ولكن مكر الله أكبر وعندما بلغوا منتصف الطريق وأصبح الكل فى وسط البحر انطبق عليهم ﴿ فأغرقناهم أجمعين ﴾ ورهوا أى ساكنا على حاله .

وفى سورة يونس الآية ٩٠ : ٩٢ قال تعالى

﴿ وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين * آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ﴾ فهذا إيمان لاينفع صاحبه لإنه لما رأى الغرق قال ذلك وقد كان بالأمس يقول أنا ربكم الأعلى إنه الآن ملقى على الشاطئ تتقاذفه الأمواج :﴿ فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية ﴾ أى عبرة وموعظة فهذا فرعون موسى محنط يرقد داخل صندوق من الزجاج فى المتحف الزراعى بالقاهرة فرجة لخلق الله ﴿ فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية ﴾ يعنى عبرة لكل طاغية لكل ظالم لكل قوى يظلم الضعيف لكل غنى يذل الفقير لكل حاكم لايحكم رعيته بشريعة الله وتلك الأيام نداولها بين الناس ﴿ فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية ﴾

* * *

● وتمرد بنو إسرائيل عقب نجاتهم :

يقول تعالى فى سورة الأعراف الآية ١٣٨ : ١٤٠ ﴿ وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ﴾ تلك عبادة غير العبادة التى يتعبد بها فراعنة مصر ، وهى عبادة العجل مع ألوهية فرعون - لئن اتخذت إلها غيرى لأجعلنك من المسجونين - كان هذا قول فرعون لموسى ﴿ قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون * إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون * قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين ﴾ أى عالمى زمانهم يقول لهم موسى عليه السلام : هل أرضى لكم إلها غير الله - عز وجل - الذى أنجاكم من . . .

* وهذه إحدى معجزات القرآن التى جاءت فيها أخبار الأمم السابقة ولكن حسم القضية وصدق العلم الحديث فى ذلك . .

فرعون وجنوده ، وفلق لكم البحر وأغرق عدوكم أمام أعينكم ، ويظهر بأن بنى إسرائيل قد تشربت قلوبهم بعبادة غير الله سواء أكان عجلا أو حجرا فقد عاشوا مع سادتهم الفراعنة وهم يعبدون العجل ، فتوطنت فى نفوسهم عبادة غير الله ودائما المغلوب يتبع الغالب فى عاداته وتقاليده .

وذهبت مواعظ موسى وآثار المعجزات التى كانت فى صالحهم سدى .. دائما ناكرون للجميل خائنون للمواثيق والعهود ، ألم يلقوا أخاهم يوسف فى غيابة الجب ؟ ألم يقتلوا نبى الله يحيى ؟ ألم يتآمروا على قتل سيدنا عيسى ؟ ألم يقتلوا همرشولد سكرتير عام الأمم المتحدة وهو يهودى مثلهم عندما وقف بجانب الحق العربى ؟ ألم يقتلوا رئيس وزرائهم رابين ؟ ألم يدمروا المفاعل النووى العراقى؟ ألم يقتلوا الأسرى المصريين فى سيناء ؟ ألم يقتلوا المصلين فى صلاة الفجر فى رمضان فى مسجد الخليل في فلسطين وهم ركع سجود ؟ وقد استشهد منهم أكثر من مائة وأصيب أكثر من ثلثمائة ؟ ألم يضربوا مدرسة بحر البقرة الابتدائية فى محافظة الشرقية بمصر ومات جميع تلاميذها ؟ ألم يتآمروا على قتل النبى محمد عليه الصلاة والسلام وأصحابه بالمدينة ؟ ألم يقولوا إن الله فقير ونحن أغنياء ؟ ألم يقولوا «يد الله مغلولة » ألم يحذرنا الله سبحانه وتعالى منهم بقوله : «لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ؟ - ويقول تعالى - يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء - ولكن من يقول ومن يسمع .

وفى سورة الأعراف ١٦٠

﴿ وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾ويظهر أن بنى إسرائيل بعد خروجهم من البحر شعروا بالعطش لأن ماء البحر مالح لايصلح للشراب فطلبوا من موسى الماء وكان لكل عائلة منهم نقيب ﴿ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾أى لكل قبيلة عين تشرب منها وهذه العيون تسمى عيون موسى وهي شرق السويس ، ولازالت باقية لليوم ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ﴾ المن قيل شراب ينزل من السماء ، وقيل : طعام والسلوى هو طير يسمى السمان يأتي طائرا فيقع عندهم فيذبحوه ليتخذوه طعاما ﴿ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ بتعنتهم وكثرة سؤالهم لموسى .

وفى سورة البقرة الآية ٦١ : ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ أى اهبطوا مدينة أو قرية من المدن التى تنتشر فى سيناء واشتروا ماتريدرون . قال بعض العلماء يعنى اهبطوا مصر التى خرجوا منها وهذا خطأ لأن موسى لم يقل لهم اهبطوا مصر وإنما قال لهم اهبطوا مصرا .

* * *

● دعوة موسى لميقات ربه :

وجاء فى سورة الأعراف الآية من ١٤٢ : ١٤٥ ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ وقبل ذهاب موسى لميقات ربه أمر أخاه هارون أن يكون خليفته على بنى إسرائيل وأكد عليه الأمر بالنظر فى مصالحهم وشئونهم واليقظة على أمرهم ، وبعد تمام الأربعين ليلة ذهب موسى إلى الجبل لميقات ربه ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي﴾ ورؤية الله فى الدنيا غير ممكنة ، ولكن فى الآخرة ممكنة بقوله تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » ففى الجنة يعطى الله لعباده المؤمنين قدرة ليروا وجهه الكريم ولكن بدون كيفية ولاحيز ﴿وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ وهذا معناه بأن الجبل لن يستطيع أن يستقر مكانه ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ ﴾ زادت حمولته ﴿ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ أى اندك الجبل كما تدك الوتد فى الأرض .

● التجلى الإلهى

الله سبحانه وتعالى يتجلى على جميع مخلوقاته فى الدنيا ولكن بمقدار ، فمثلا يتجلى الله بنوره فى أعين المخلوقات ليروا بها من حولهم ، ولكن هذا التجلى بقدر ، ولو زاد التجلى بالنور فى الأعين لرأى الناس ما فى بيوت الغير من خلف الجدران .

ولكن لما زاد التجلى فى عينى عمر بن الخطاب رأى جيش المسلمين من خلف الجبل فصاح على قائد الجيش : يا سارية الجبل .. يا سارية الجبل ! وهو على منبر رسول الله بالمدينة المنورة .

ويتجلى السميع العليم على أسماع المخلوقات ليسمع الإنسان الأصوات من

حوله ولو زاد هذا التجلى على آذان الناس لسمع الناس ما فى بيوت الغير من كلام من خلف الجدران ولكن عندما زاد التجلى بدرجات أكبر على سمع سارية رضى الله عنه سمع صوت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يناديه وهو فى المدينة المنورة وسارية بالشام أى سوريا .

ويتجلى الله سبحانه وتعالى على الجبال فيهبط منها بعض من خشية الله أى من تجلى الله وكذلك تتفجر منها الماء ليشرب الناس والحيوانات والطير ويتجلى الله على جميع المخلوقات بما ينفعهم ولايضرهم وكذلك يتجلى الله على بعض العلماء من عباده فيخترعوا ما يشاءون من علم نافع أو ضار ولو زاد هذا التجلى فى العلم لاخترقوا السموات والأرض ولذلك قال تعالى - وما أوتيتم من العلم إلا قليلا .

● موسى عندما تجلى المولى على الجبل

﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ من هول ما رأى فقد رأى الجبل العظيم وقد اندك من تجلى الله الزائد وسيناء بها كثير من الجبال ، والله لم يقل لموسى انظر إلى جبل ولكن قال انظر إلى الجبل وهو جبل الطور أكبر جبل فى سيناء .

وقد روى عن أنس رضى الله عنه أنه قال : كنت جالسا وفخذ رسول الله على فخذى وفى هذا الوقت نزل الوحى على رسول الله فشعرت بأن فخذى انكسر من ثقل فخذ رسول الله لأن الثقل زاد عن المعتاد بفعل الوحى يعنى تجلى الله عليه بالوحى .وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحى وهو راكب ناقته القصواء بركت على الأرض من ثقل التجلى الذى زاد عن حمولتها وكان الصحابة رضى الله عنهم يقولون : إذا نزل الوحى على رسول الله كان يتصبب عرقا من ضغط التجلى وهو الوحى ، وكنا نسمع بجانب أذنيه الشريفتين أزيزا كأزيز النحل فإذا ارتفع عنه الوحى عاد رسول الله إلى حالته الطبيعية ومسح عرقه وتلا علينا ما سمعه من جبريل عليه السلام - وكل شئ عنده بمقدار ● عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال - وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون .

﴿ فَلَمَّا أَفَاقَ ﴾ موسى من غشيته قال بعض العلماء : إن الله أماته ثم أحياه وهذا خطأ لأن الإفاقة تكون بعد الصعقة أما الإحياء فيكون بعد الإماتة والله سبحانه وتعالى يقول وخر موسى صعقا فلما أفاق أى من صعقته ﴿ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أى ما أعظمك تبت إليك أن أسالك الرؤيا وأنا المؤمنين

بهـذا الحـدث العظيم ﴿ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ ﴾ أى نــاس زمـانه﴿ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ أى اختاره رسولا واصطفاه بكلامه وأنزل التوراة عليه ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ﴾ أى الفـــرائض والنوافل وتنفيذ ما فيها من تشريع وأوامر ونواه وتحريم حرامها وتحليل حلالها والبعد عما يغضب الله ﴿ سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ أى ستفتحون فلسطين وترون فيها الفاسقين ، وكما قلنا من قبل : إن موسى وقومه كانوا مسلمين وهم الأمة المسلمة فى ذلك الزمان أما يهود اليوم فليست لهم صلة بأجدادهم لأنهم كفرة ومغضوب عليهم .

وفى سورة الأعراف الآية ١٤٨ قال تعالى : ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ ﴾ أى فى غياب موسى لميقات ربه ﴿ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ ﴾ أى صنع لهم السامرى من حليهم أى الذهب الذى جاءوا به من مصر عجلا جسدا له خوار ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ﴾ وذلك لأنهم ﴿ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ لإنفسهم بما سولت لهم وزينت الباطل .

وفى سورة طه الآية ٨٣ : ٩١ قال تعالى :﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ * قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ شوقاً إليك ومرضاة لك ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ ﴾ أى امتحناهم عند مجيئك إلينا﴿ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾ وهارون وقومه لم يلتحقوا بموسى بسبب هذه الفتنة التى أوقدها السامرى ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ﴾ وموسى كان يظن بأنهم فى الطريق على أثره مقبلون وكلنا نعلم بغضبة موسى وبطشه ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴾موسى يكلم قومه بحسرة : ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا بدخول الأرض المقدسة ؟ هل طال عليكم العهد أم أردتم بهذا الفعل أن يحل عليكم غضب من الله ؟ وأخلفتم موعدى معكم باللحاق بى لملاقاة الله ﴿ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا ﴾أى بإرادتنا ﴿ وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ ﴾ أى الحلى التى أخذناها من الفراعنة بمعاملاتنا الربوية لهم ﴿ فَقَذَفْنَاهَا ﴾ أى ألقيناها إلى السامرى ﴿ فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴾ ما عنده من ذهب ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴾ إن موسى نسى وذهب إلى الجبل يبحث عن الإله ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾

أو لم يروا بأنه لايوحى إليهم بشئ ولايدفع عنهم ضرا ولايجلب لهم نفعا ولقد قال هارون من قبل مجئ موسى من الميقات ﴿ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ ﴾أى العجل﴿ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾ الذى هو أمر الله ﴿ قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ ﴾ أى لن نترك عبادته ﴿ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾من الجبل .

وفى سورة الأعراف ١٥٠ ﴿ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ ﴾ من شدة الغضب ﴿ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ويظهر لنا أن هارون استعمل كل ما فى وسعه لمنعهم من عبادة العجل وكان معه فريق امتنعوا عن عبادته وتذكروا نعم الله عليهم فوقفوا بجانب هارون ، ولكن يظهرمن السياق بأنهم كانوا أقلية .

وفى سورة طه الآية ٩٢ : ٩٧ ﴿ قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴾ أى ما سكوتك عنهم عندما رأيتهم اتخذوا العجل إلها ﴿ قَالَ يَا ابْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ موسى عليه السلام يشتد على أخيه هارون وهارون يناديه بحنان الأمومة يبنؤم ولما هدأت نفس موسى توجه إلى السامرى ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴾ أى ماذا تريد بفعلتك الشنعاء التي فرقت بها بنى إسرائيل ؟﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ﴾ أى صنعت عجلا بالذهب الذى أخذته منهم وفتنتهم به ، وقلت لهم هذا إلهكم وإله موسى فنسى وذهب يبحث عنه فى البرية ثم يقول السامرى ﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ ﴾جبريل عليه السلام . .فأخذ قسطا أو قبضة من أثر الرسول ـ التراب ـ فقذفها . .

وقال بعض المفسرين إن السامرى استولى على ذهب بنى إسرائيل وصنع لهم منه عجلا فكان الريح تدخله من دبره وتخرج من فمه فيحصل منه خوار كخوار الثور ، وهذا الرأى مخالف لما عليه القرآن الكريم ، فإن قول السامرى بصرت بما لم يبصروا به أى العجل قال موسى للسامرى ﴿ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ ﴾ وقد أصاب السامرى الجرب والحكة الجلدية بما فعله فهو يحذر أى أنسان يقترب منه أو يمسه فيقول لا مساس أى لاتلمسنى والموعد الذى لم يخلفه هو العذاب فى الآخرة ﴿ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴾ فلو كان العجل من ذهب كما قال بعض المفسرين لم يحرق ولم ينسف إنما يحرق وينسف هو العجل الطبيعى من جلد ولحم ، وكذلك قال بعض المفسرين فى قول السامرى فقبضت قبضة من

أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لى نفسي قالوا إن السامرى رأى جبريل عليه السلام على فرس فأخذ من تحت حافر الفرس بعض التراب وألقاه على الذهب فصار عجلا جسدا وهذا خطأ لأن جبريل عليه السلام لم يستطع أحد أن يراه من الناس على حقيقته وعندما يتشكل يصبح كإنسان عادى لايعرفه أحد لا السامرى ولاغيره ، والقصة المعقولة التى تتمشى مع السياق هى قبضة من تعاليم موسى فتبذها أى تركها كما لو علمت أحدا الصلاة فصلى زمنا ثم بعد ذلك نبذها أى تركها ونقول إن الملائكة تتشكل فى صورة حسنة كما تشكل جبريل فى صورة دحية الكلبى رضى الله عنه •.

قال الصحابة كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ دخل علينا رجل فى ثياب بيض وليس عليه أثر سفر ، وجلس فسلم ووضع ركبتيه فى ركبتى رسول الله وقال أخبرنى عن الإسلام فقال له رسول الله أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا قال صدقت ثم قال وما الإيمان قال رسول الله أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء خيره وشره قال صدقت وتعجبنا من قوله فى كل مرة صدقت . . قال وما الإحسان ؟ قال رسول الله الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك فقال صدقت ثم قال فخرج فخرجنا خلفه فلم نره فقلنا من هذا يا رسول الله قال هذا جبريل جاء يعلمكم أمور دينكم•• .

بعد حرق العجل ونسفه فى البحر ، بعد أن تحول إلى رماد وذهب السامرى بمرضه الذى ابتلاه الله به بسبب إضلاله بنى إسرائيل فى عقيدتهم وهدأت نفس موسى وبدأ يشرح لهم ما فى التوراة ويبين لهم الحلال والحرام ويأمرهم بالفضائل وينهاهم عن الرذائل ومع كل هذه النعم لم تلن قلوبهم .

وجاء فى سورة الأعراف الآية ١٧١ ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ﴾أى الغمامة ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم ﴾ من تعاليم التوراة﴿ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ وفى سورة البقرة مثل ذلك وأراد الله سبحانه وتعالى أن يذكرهم بنعمه التى أنعمها عليهم فقال تعالى فى سورة البقرة الآية ٤٩ : ٦٠ وهو يسرد عليهم النعم واحدة بعد أخرى وهذه بعض النعم :﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾

• لست أدرى لم يصر المؤلف على تخطئة المفسرين ، ولم يقدم لنا مصدر رأيه ؟

•• يرجع إلى الحديث فى صحيح مسلم عن أبى هريرة ، وكنا نود أن ينقله المؤلف صحيحا .

﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾

﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ * ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ * فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾

﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

تعقيب

أخى القارئ : هذه عشر من النعم الكبرى التى أنعم الله بها على بنى إسرائيل ، وكل نعمة قائمة بذاتها لاتدخل لها قبلها ولا فيما بعدها بل هى نعم متفرقة ذكرهم الله بها وتلك نعمة أخرى ليمتحنهم الله بها ولو أطاعوا ونفذوا ما أمرهم الله به لمحت كثيرا من ذنوبهم وهذه هى النعمة التى جادلوا فيها فأضافت إلى

ذنوبهم الكثيرة ذنبا آخر
﴿ وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين * قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون * قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين * قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون *قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون ﴾ هذا التعنت الذى أجهدهم وجعلهم يبحثون فى كل مكان ليجدوا هذه البقرة بكل أوصافها التى وصفها الله لهم واشتروها بأغلى الأسعار ولو ذبحوا أى بقرة لكان انتهى الأمر وفازوا برضا الله مع أن الله سبحانه وتعالى لم يقل لهم اذبحوا البقرة وإنما قال لهم اذبحوا بقرة يعنى أى بقرة لتنفيذ الأمر ولكنهم قوم معاندون ..وانتهت قصة البقرة كغيرها من القصص التى ذكرهم الله بها ثم بعد جاءت قصة أخرى لاصلة لها بموضوع البقرة لا من بعيد ولامن قريب وهي قوله تعالى في نفس السياق تبدأ بكلمة وإذ ﴿ وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون * فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون ﴾ هذه القصة التى حشر بعض المفسرين فيها البقرة عنوة وبدون روية مع أن البقرة بريئة من هذه القصة والذى ألجأهم لحشر البقرة فى هذا الموضوع هو قوله تعالى ﴿ فقلنا اضربوه ببعضها ﴾ أى ببعض البقرة لأن البقرة مؤنثه ولم يدروا بأن الإنسان بعد موته يصبح جثة مؤنثة فيضربوا المتهم ببعض جثة القتيل لاجثة البقرة وربما يأتى شخص ويقول : إذن ما حكمة ذبح البقرة إذا كانت ليست لها صلة بالقتيل : نقول له وما حكمة صلاة المغرب ثلاث ركعات والعشاء أربع ركعات وهنا لن يستطيع الرد لأنها أوامر تعبدية وكذلك ذبح البقرة أمر تعبدى •: ﴿ وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون ﴾ وجد قتيل بين قريتين وكل قرية تنفى صلتها بالحادث وتلقى بالتهمة على القرية الأخرى ﴿ فادارأتم فيها ﴾ أى تنازعتم فيها وفى هذه الحالة لابد لجهات الأمن من القبض على المشتبة فيهم من القريتين من أصحاب الإجرام ومرتكبى الحوادث ﴿ والله مخرج ما كنتم تكتمون * فقلنا اضربوه ببعضها ﴾ أى ببعض جثة القتيل .

والمقبوض عليهم جماعة وهم فى هذه الحالة أمام العدالة كلهم متهمون بالقتل

• المؤلف يصر على ألا صلة بين آية البقرة وما بعدها . ولسنا ندرى من أين له هذا ؟ فليقرأ تفسير شيخ المفسرين الطبرى .

وأن يقام عليهم الحد بالقصاص فأراد الله سبحانه وتعالى أن يعلمهم حكمة يستخرجون بها القاتل فإذا أدخلوا المتهمين على القتيل واحدا بعد الآخر وأن يضربوه ببعض جثة القتيل ، سيظهر على وجه القاتل الحقيقي ما يثبت جريمته من اصفرار الوجه وارتعاش عضلاته وسرعة دقات قلبه وانهياره ، وهنا يعترف بارتكابه الجريمة فيقام عليه الحد بالإعدام ويفرج عن الباقين﴿ كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ تعقلون هذه الحكمة العلمية .

● طرق حديثة في الكشف عن المتهم

وهذه الطريقة في كشف المتهم أخذ بها بعض دول أوربا وأمريكا فيضعون على المتهمين جهازا لقياس دقات القلب ويسمونه « جهاز كشف الكذب » وعندنا كثير من ضباط البحث الجنائي ووكلاء النيابة الذين وفقهم الله إلى هذه الحقيقة ، ونبدأ بعرض بعض القصص التي تم فيها معرفة الجاني وهي مقتبسة من كتاب قصص الأنبياء للشيخ عبدالوهاب النجار .

١ ـ قتل شخص ولم يتم القبض على الجاني وحامت الشبهة على المشتبه فيهم من أهل الإجرام وأذاعت الشرطة بين المتهمين بأن المضروب لا زال على قيد الحياة وفيه الروح وسيتم عرضكم عليه واحدا بعد الآخر وسيتعرف على قاتله وبدأ عرض المتهمين على الميت وقام الأطباء بفتح عينيه صناعيا ووضع لكل منهم جهاز قياس دقات القلب وبحضور وكيل النيابة وضابط البحث الجنائي وبعض المحققين ، وبدأ في دخول المتهم الأول ومر بجانب القتيل وهو يظنه حيا ثم أخرج من باب آخر ولم يظهر على ملامحه شئ ولم تزدد دقات قلبه إلا درجة أو اثنتين وذلك من الخوف وأدخل المتهم الثاني ولم يحصل منه شئ زائد عن المتهم الأول ، وجاء دور المتهم الثالث فرفض الدخول وانهار ووصلت دقات قلبه إلى الذروة حتى إن قلبه ليكاد أن يخرج من صدره واعترف وأدخل باقي المتهمين تحسبا للاشتراك في الجريمة وسيق الفاعل إلى المشنقة وتم الإفراج عن باقي المتهمين ﴿ كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

٢ ـ تم سرقة بندقية خفير نظامي وألقاها السارق في الترعة وعثر عليها أحد المزارعين وسلمت إلى الشرطة ، وتم القبض على المشتبة فيهم من محترفي السرقات وبحضور وكيل النيابة وضباط البحث الجنائي ورجال التحقيق ، ووضع في أيديهم جهاز قياس دقات القلب ومروا بالمتهمين على شاطئ الترعة وفي أثناء مرور المتهمين على المكان وجدت فيه البندقية لاحظوا أحد المتمهين يحول وجهه إلى الجهة الأخرى ، وزادت دقات قلبه وفي العودة مروا بالمتهمين

كذلك من الجهة الأخرى للترعة وفى نفس المكان وجدوا المتهم نفسه يحول وجهه إلى جهة أخرى وتزداد دقات قلبه زيادة فوق المعقول ، واعترف بأنه سرق البندقية إغاظة فى الخفير النظامى وتمت محاكمته وتم إخلاء سبيل باقى المتهمين

* * *

● قصة موسى والخضر

الكهف «إبتداء من الآية ٦٠ » هذه القصة التى كثر اللغط فيها وألقى أصحاب الطرق الصوفية بكل ثقلهم فيها ونشروا وأذاعوا بين الناس وجعلوا الحق باطلا والباطل حقا وقالوا عند قول موسى للخضر **﴿ هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا ﴾**

وبنوا على هذه الآية خرافة وهى أن النبى موسى يتعلم من الخضر الولى .

لأن الولاية عندهم فوق النبوة بدليل هذه الآية والولاية عندهم لاتخرج عن جماعة الصوفية وإن كان أحدهم يسير فى الشوارع ممزق الثياب تتدلى رغاوى فمه على صدره وإن كان لا يصوم ولايصلى فهو عندهم من الأولياء وكل أبله عندهم ولى ، وكل جماعة منهم شيخهم ولى يقفون أمامه خاشعين خشوعا لايخشعونه أمام الله فى الصلاة ، وكل جماعة منهم إذا مات شيخهم لابد من عمل قبة له ومقام يكسى بالحرير والديباج .

قصة سيدنا الخضر عليه السلام لم تذكر فى القرآن إلا مرة واحدة فى سورة الكهف الآية « ٦٠ : ٨٢ » ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ فتاه هو يوشع ابن نون لا أبرح أى لا أكل من السفر حتى أبلغ مجمع البحرين أى خليج العقبة مع البحر الأحمر ، وتوجد فى مدخل الخليج جزيرة تيران وهناك تقترب أرض جزيرة العرب مع أرض سيناء أو أسير سنين طويلة ولابد أن تكون هناك مصلحة من هذا السفر الطويل الشاق ولم يخبر به فتاه .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قام موسى خطيباً فى بنى إسرائيل فسئل أى الناس أعلم فقال أنا فعاتبه الله إذ لم يرد العلم إليه . فأوحى الله إليه بأن لى عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك ، قال موسى يارب فكيف لى به ؟ قال : تأخذ معك حوتاً فتجعله فى مكتل أى زنبيل فحيثما فقد الحوت فهو ثم أى هناك رواه البخارى عن أبى بن كعب﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴾ يقول بعض المفسرين إن الحوت كان مشوياً يأكلان منه إذا جاعا وعند

الصخرة نام سيدنا موسى واضطرب الحوت وكانا أكلا جنباً منه وخرج من المكتل واتخذ سبيله في البحر سرباً ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا ﴾ أى المكان ﴿ قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾ يعنى مشقة وتعبا ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ ﴾ وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره - يعني أن يوشع بن نون نسى أن يخبر سيدنا موسى بهروب الحوت ﴿ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ قال ذلك ما كنا نبغى فارتدا على آثارهما قصصا أى رجعا إلى الصخرة وهناك وجدا الخضر وقد اختلف المفسرون فيه هل هو نبى أم ولى أم ملك من الملائكة ؟ ونحن نميل إلى القول بأنه نبى لأن كلمة عبدنا تدل على أنه نبى مثل قوله تعالى **﴿ واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب ﴾ ومثل قوله تعالى ﴿ ذكر رحمت ربك عبده زكريا ﴾ وفى سيدنا عيسى قال إنى عبد الله أتانى الكتاب وجعلنى نبياً ﴾ وفى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ﴾ .**

وفى سيدنا رسول الله كذلك : ﴿ الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ﴾ وفى رسول الله كذلك : ﴿ وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان * يوم التقى الجمعان ﴾ وفى سيدنا الخضر فوجداً عبداً من عبادنا ﴾

﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ لأن لكل منهم شريعة يوعظ بها قومه فليس عيباً فى أن يقول مهندس التليفزيون لمهندس الساعات علمنى مما علمت ولايعتبر مهندس التليفزيون جاهلاً ولاعيب فى أن يقول مهندس الكهرباء علمنى مما علمت ولايكون مهندس الميكانيكا فى ذلك جاهلا لأن هذا علم وذلك علم مخالف له .

وموسى نبى لبنى إسرائيل خاصة ، ولايجوز له أن يوعظ بشريعة التوراة قوم غير بنى إسرائيل لأن كل قوم لهم نبى ولهم شريعة مثل قوله تعالى ﴿ وما من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾ أى رسول وكذلك قوله تعالى ﴿ ولكل قوم هاد ﴾ أى نبى يهديهم إلى ما ينفعهم فى دنياهم وأخراهم فكل نبى يرسله الله إلى قومه خاصة إلا محمدا صلى الله عليه وسلم فقد أرسله الله إلى الناس كافة بشريعة تخلد معهم إلى يوم القيامة ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ﴾ ومثل قوله تعالى ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ لأن البشرية قد نضجت واستوى عودها ولاتحتاج إلى نبى آخر ، ولا إلى شريعة أخرى ، وقد انتشرت العلوم

● أجهد المؤلف نفسه فى مسألة لا أهمية لها إذ المهم هو مضمون القضية وأهدافها ، وليس كون العبد الصالح نبيا أو وليا ، ولذا جاء فى نهاية حديث مسلم : « وجاء عصفور على حرف السفينة ، ثم نقر فى البحر ، وقال الخضر لموسى : ما نقص علمى وعلمك من علم الله - عز وجل إلا مثل ما نقص هذا العصفور من البحر

والاكتشافات بفضل هذه الشريعة المنزلة من لدن عليم حكيم وأصبح من يقف في ساحة الحرم بمكة المكرمة ويقول :« الله أكبر »تسمعه جميع المخلوقات على وجه الأرض بالراديو أو التلفاز أو الأقمار الصناعية ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ وربما كان عند مجمع البحرين ميناء بحرية وملتقى تجارات عبر خليج العقبة والبحر الأحمر بكثرة الموانئ على شاطئية ، فهو يموج بالسفن والتجار وكما نقول الآن ـ ميناء بحرية ـ توجد بها صادرات وواردات وهؤلاء الناس ليسوا من بني إسرائيل ، وسيناء كانت عامرة بالمدن والقرى . ويظهر أن موسى عرفه بنفسه وأنه نبي بني إسرائيل : ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ وهذا شرط اشترطه موسى على نفسه ﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ وهذا شرط من الخضر على موسى أن لايسأله عما يفعله حتى يشرحه له بعد ذلك ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ﴾ وهذه جريمة فى نظر سيدنا موسى :﴿ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ يعنى هذه جريمة ارتكبتها في حق أصحاب السفينة وركابها .

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ فالخضر عليه السلام يذكر موسى بوعده بعدم الاعتراض على ما يفعله ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ هنا موسى يعترف بأنه نسى ، وقد قبل الخضر اعتذاره ، وطلب من الخضر بأن لايؤنبه ،وأن لايشتد عليه لنسيانه الاتفاق :﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾ فموسى كان فى الأولى ناسياً أما فى هذه المرة فقد كان قاصداً ، فإن كان فى خرق السفينة خطر على ركابها غير مباشر ، فإن فى قتل الغلام ما لاتتحمله أى نفس : ﴿ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴾ أى جريمة كبرى :﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ يذكره الخضر للمرة الثانية بعهده :﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ﴾ وهذا أدب الأنبياء والصالحين ، فلا تصاحبنى ولم يقل فلا أصاحبك ، ولكن قال فلا تصاحبنى لأنى أنا المخطئ :﴿ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴾ وفى شريعة موسى لابد من قتل الخضر ، لأن النفس بالنفس :﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا ﴾ ويظهر أن هذه القرية كافرة غير مؤمنة برسالة ولا بضيافة الغريب : فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾ فوجدا حائطاً مائلاً على وشك السقوط ﴿ فَأَقَامَهُ قَالَ لو شئت لاتخذت عليه أجراً ﴾ أى لو أردت أن تأخذ من أصحاب هذا الجدار أجر بنائه لنشترى به طعاما لأنهم بخلاء لم يقدموا لنا

طعاماً : ﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ لأنك لم تستطع أن تصبر وتنفذ ما اتفقنا عليه .« يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم« رحمة الله علينا وعلى موسى لو لا أنه عجل لرأى العجب» صحيح مسلم »﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ ﴾أى تفسير﴿ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا * أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ ﴾ وهـؤلاء المساكين إما أن يكونوا أخوة أو جماعة شركاء يعملون على هذه السفينة فهى رأس مالهم يسترزقون منها ليطعموا أنفسهم وأهليهم ، ويظهر أن السفينة كانت جيدة لاعيب فيها ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ يعنى يجعل فيها عيباً يشوه هيكلها ومنظرها فتصبح سفينة غير مقبولة . ، ولا يأبه بها أحد :﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ أى كان أمامهم فى الطريق ملك ظالم يأخذ كل سفينة جيدة ممتازة غصباً عن أصحابها :﴿ وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ * فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ أى سيكون هذا الغلام فى المستقبل سبب كفرهما بالضغط عليهما وظلمه لهما ﴿ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ فأراد الخضر عليه السلام بقتله أن يعوضهم الله بمولود يكون خيرا منه باراً بوالديه ولن يكون عليهم جباراً شقياً ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا ﴾أى أن هذا الجدار المتهالك وهو على وشك السقوط لغلامين أى ولدين صغيرين توفى أبوهما فى الصغر ،وكان تحت هذا الجدار كنز لهما ولو سقط الجدار لانكشف الكنز ولتخاطفته أيدى الناس ، وهما فى هذه الحال لايستطيعان الدفاع عن كنزهما فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى لخضر بأن يهدمه ثم يقيمه مرة أخرى ليكون أقوى مما كان ، ليستمر قائماً حتى يبلغ اليتيمان مبلغ الرجال فيستخرجا كنزهما ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ فصلاح الوالدين يعود على الأبناء بالخير والبركة ، ويسبب لهما من يقوم بخدمتهما ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ فبناء الحائط رحمة من الله ليحفظ لهما كنزهما ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾ بل من أمر الله الذى يوحى به إلى ﴿ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ أى هذا تفسير الذى رأيته ولم تستطع عليه صبراً .

داود

عليـــه الســـــلام

داود فى القرآن

لنبدأ بمشهد من جبن بنى إسرائيل أمام العدو :

لنصل بها إلى قصة سيدنا داود عليه السلام وهى آيات من القرآن الكريم تفتح لنا الطريق وهى سابقة على قصة سيدنا داود إلا أنها متصلة بها .

يقول تعالى فى سورة البقرة الآية «٢٤٣ : ٢٥٢» ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ ﴾ الخطاب هنا موجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم : ألم تر أى ألم تعلم خبر الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت أى أنهم خافوا من مواجهة العدو المغير على بلادهم فجبنوا وخارت عزائمهم ، فلم يستطيعوا الدفاع عن أرضهم ، أو يحموا أعراضهم وهم من بنى إسرائيل من بعد موسى ، يبين لنا القرآن الكريم جبنهم وهلعهم فى مواجة العدو ، ولم يبين لنا القرآن الكريم من هو العدو الذى هربوا من مواجهته إنما العبرة بالحادث الذى يصوره القرآن الكريم ، ويبين لنا أنهم من أجبن مخلوقات الله ، ونحن نرى الآن الجنود الإسرائيلين وهم مدججون بالسلاح ومع ذلك تراهم فى رعب من الشباب الفلسطينى المسلم الذى يقذفهم بالحجارة ، ومع ذلك فإن هؤلاء الجنود يرعبون الحكام العرب وقد بين لنا الله ضعفهم الحقيقى فى سورة الحشر الآية « ١٤ »﴿ لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ ﴾ لايقاتلون إلا فى قرى محصنة أى المستوطنات التى يبنونها على القرى الفلسطينية بعد هدمها أو من وراء جدر أى دشم أو من وراء دبابات لتحميهم من المجاهدين الفلسطينيين . بأسهم بينهم شديد بما فى أيديهم من سلاح فتاك ، تحسبهم جميعاً أى يداً واحدة ولكن قلوبهم شتى ﴿ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ﴾ والقوم الذين لاكرامة لهم ولاحمية للدفاع عن أنفسهم فلا أرض لهم ، ولادولة لهم ، ولاراية لهم ، ولاحاكم يجمع كلمتهم فهم فى هذا الوضع كأنهم أموات ، فليست كلمة موتوا أى خرجت أرواحهم *كما نقول لشخص جبان لايستطيع الدفاع عن نفسه أنت شخص ميت ﴿ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ وكلمة ثم فى القرآن تنبئ عن التراخى أى أحياهم بعد زمن طويل أى أعاد إليهم الإحساس والغيرة على وطنهم بعد ما أنجبوا جيلاً جديداً ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ﴾وفضله مستمر على خلقه مؤمنهم وكافرهم ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ ﴾ هذه النعم الظاهرة والباطنة ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ سميع لطلبهم وعليم بنياتهم ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا

* الموت هنا حقيقى وليس مجازيا لتأكيد قدرة الله على الإماته والإحياء .

كَثيرةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ففى الآيه السابقة يرغبهم الله فى الجهاد فى سبيله وفى هذه الآيه يرغبهم فى البذل بالأموال فى سبيل الله فإذا كان الجهاد في القتال لاينقص من العمر فإن البذل بالمال في سبيل الله كذلك لاينقص منه شيئاً بل يضاعفه فى الدنيا بالسعة والبركة والنماء وفى الآخرة نعيماً ورضى وقربى إلى الله والله يقبض ويبسط فلا محال للخوف من الموت فى الجهاد فى سبيل الله ولامجال للخوف من أن ينقص المال من البذل فى سبيل الله .

• حوار بين بنى إسرائيل وأحد أنبيائهم

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ إلى الملأ أى كبار القوم من بنى إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبىَ لهم وهو - حزقيال - أو صموئيل من أنبياء بنى إسرائيل الذين لاحصر لهم من كثرتهم : ابعث لنا ملكاً أى اطلب لنا من الله أن يبعث لنا ملكاً قائداً نقاتل معه فى سبيل الله ﴿ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا ﴾ وكان نبيهم على خلاف علماء التاريخ - يعلم أحوالهم وجبنهم وخوفهم من مقارعة الأعداء ، فقال : هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا - أى إذا فرض عليكم القتال أن تنكصوا عن الجهاد معه لتقاتلوا عدوكم ﴿ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ﴾ - هم كاذبون فى كل شئ ناكثون للعهود ومن كذبهم على نبيهم الموجود قولهم وما يمنعنا أن نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا مع أن الله قد أثبت عليهم أنهم خرجوا من ديارهم خوفاً ورعباً من ملاقاة العدو ، وتركوا بلادهم هاربين ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ أى فرض عليهم القتال وهم الذين طلبوه ولكن هذه الحماسة الفائرة فى ساعة الرخاء لم تدم طويلاً فلما جاءت ساعة الجد والاستعداد للقتال ورأوا الحقيقة ماثلة أمام أعينهم ، وأن الموضوع جد لا عبث فيه ، ارتعدت فرائضهم وخافوا الموت وتولوا ، أى اضطربت عقولهم وفترت عزائمهم إلا قليلا منهم صمموا على خوض المعركة ، هؤلاء الشباب الذين امتلأت قلوبهم بالإيمان والله عليم بالظالمين الذين يسلمون أوطانهم للعدو ولم يقاوموا بما استطاعوا من قوة وأن يصبروا أمام العدو وإن كان اكثر منهم عددا وعدة فإن الله مع الصابرين والله لايخذل أنصاره فى المواجهة مع العدو المغير على أوطانهم فقتلى المسلمين في الجنة وقتلى الكفار فى النار ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾ كما طلبتم للقتال تحت رايته وبقيادته ﴿ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ ﴾ أى كيف يكون هذا الرجل له الملك علينا لأنه ليس من نسل الملوك بل هو من فقراء بنى إسرائيل ، ونحن أحق بالملك منه لأننا من نسل موسى وهارون ﴿ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً

﴿ مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ هذه حيثياتهم فى رفض الذى اختاره الله لهم لأنه ليس من نسل الملوك ثانيا لأنه فقير ليس من أرباب المال - الذى يعبدونه من دون الله ، قال لهم نبيهم إن الله اصطفاه أى اختاره عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم ، وهذه صفات قائد العمليات العسكرية أن تكون لديه فلسفة الحرب فى الكر والفر واختيار المواقع الاستراتيجية وسرية الهجوم بأن يأخذ العدو على غرة فالحرب خدعة كما يقول رسولنا صلى الله عليه وسلم وان يكون ذا جسم قوى يرهب العدو ويتحمل المشاق والله يؤتى ملكه من يشاء والله عليم فهو صاحب الملك يؤتيه من يشاء ويمنعه عمن يشاء ، وهو عليم بمن يستطيع القيام بالمهام الصعبة التى أوكل بها .

• آية ملك طالوت :

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ قال لهم نبيهم إن آية ملكه أى علامة تملكه عليكم أن يأتيكم التابوت فيه سكون لقلوبكم واطمئنان لنفوسكم ، وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون وقد اختلف العلماء فى هذه البقية ، تحمله الملائكة أى التابوت . وذلك معجزة للملك طالوت الذى أرسله الله إليهم ، وكان أعداؤهم الذين غلبوهم وشردوهم من أرضهم المقدسة واستولوا على مقدساتهم وأهمها التابوت ، الذى استولى عليه أعداؤهم العمالقة فى هجومهم على فلسطين ، وهروب بنى إسرائيل تاركين وراءهم كل ما يملكون قيل : إن التابوت سبب لهم أمراضا عدة وأوجاعا مهلكة وكانوا إذا وضعوه فى كنيسة لهم فيها أصنام تصبح منكوسة فلما عظم بلاؤهم قالوا هذا من وجود التابوت بيننا ولابد من التخلص منه ، فوضعوه على عجلتين وآتوا ببقرتين ربطوهما فى العجلتين وساقوهما إلى مناطق بنى إسرائيل التى لجأوا إليها وأرسل الله ملائكة لتقود البقرتين إلى شعب بنى إسرائيل ، فلما وصلهم التابوت أيقنوا أن الملك طالوت مرسل من عند الله ، ومجئ التابوت آية على ذلك إن كنتم مؤمنين أى مصدقين بذلك .

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ أى خرج بالجيش قال لهم إن الله ممتحنكم بنهر . هذا القائد يعلم أنه مقبل على معركة بقيادة جيش من أمة مغلوبة عايشت الهزيمة فى تاريخها المرة بعد المرة ، وهو يواجه جيش أمة غالبة ومنتصرة فلا بد إذن من قوة إيمانية تتغلغل فى قلوب أفراد هذا الجيش ، لتقف به أمام القوة الظافرة الغالبة ، فمن شرب منه أى ارتوى وكان الجو

حاراً فليس منى ، أي ليس من أصحابى ، ولكن لم يخرجهم من الإسلام مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم - من غشنا فليس منا - ومن لم يطعمه فإنه منى .
ولكن للنفس البشرية مطالب ضرورية والضرورات تبيح المحظورات لاسيما والجو شديد الحرارة ، ومع السير في الصحراء الملتهبة .. وهنا جاء الاستثناء وليتجاوب مع الفطرة البشرية ولكن بقَدرْ .. إلا من اغتراف غرفة بيده أي مرة واحدة وذلك ليعلم قوة إيمان رجاله وهل يصبرون على الشهوات والرغبات أم يضعْفوا أمام هذا الامتحان ؟ فشربوا منه أى ارتوا إلا قليلا منهم وهم أصحاب الإرادة القوية .
﴿ فلمَّا جاوزَهُ هوَ والَّذينَ آمنُوا معَهُ ﴾ أى جاوزوا النهر إلى الضفة الأخرى ، وقد انفصل عنه الذين شربوا وبقى معه الذين استجابوا لأوامره ، فلم يأخذوا من ماء النهر إلا غرفة واحدة وهى كافية لبل الظمأ وكان انفصال الذين خالفوه خيراً للذين آمنوا لأنهم سيكونون نزعة ضعف وخذلان بين المؤمنين ، والجيوش ليست بكثرة العدد والعدة إنما بالقلوب الصابرة والإرادة القوية والتدريبات العسكرية العنيفة قبل خوض المعركة - ففى سنة ٦٧ انهزم العرب أمام اليهود وسيطروا على سيناء وعسكروا على الضفة الشرقية من القناة ، مع أن العرب كانوا أكثر عدداً وعدة لماذا لأن الأيدى التى كانت قابضة على السلاح ليست طاهرة ، والقلوب مظلمة وخالية من الإيمان ، أما فى سنة ٧٣فقد انتصر العرب على اليهود مع أنهم كانوا أقل عدداً وعدة لماذا ؟ لأن الأيدى التى كانت قابضة على السلاح أيد متوضئة والقلوب عامرة بالإيمان والتقوى والنفوس تهوى إلى الشهادة في سبيل الله وتنفر من الرجس والحرام والقاعدة أن الله سبحانه وتعالى ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة ، ويخذل الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة ، وأن الله تعالى ينصر من ينصره ويخذل من يخذله .
والآن نعود إلى طالوت وجنوده وهذا هو الامتحان الأول الذى فشل فيه الأكثرون وانفصلوا عن الجيش ورجعوا بغضب من الله ، وبقى مع القائد طالوت الأقلية والقلة مع قوة الإيمان . والقائد المتصل بالله سبحانه وتعالى لايهزه تخلف الأكثرية من جنده فى التجربة الأولى بل يمضى فى طريقة لايلوى على شئ وهو واثق من نصر الله .
﴿ قالوا لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بجَالُوتَ وَجُنُوده قَالَ الَّذينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّه كَم مِّن فئَة قَلِيلَة غَلَبَتْ فئَةً كَثيرَةً بِإِذْنِ اللَّه وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ وكانت التجربة الأولى قد غربلت جيش طالوت ولكن التجارب لم تكن قد انتهت بعد فقد صاروا قلة وهم يعلمون قوة عدوهم وكثرته بقيادة جالوت إنهم مؤمنون لم يتراجعوا عن عهدهم مع قائدهم ولكنهم الآن أمام الأمر الواقع الماثل أمام أعينهم ، ولكن الاعتزاز بقوة

أخرى غير منظورة يؤمنون بها وهى قوة القاهر فوق عبادة الذى يؤيد أنصاره مهما قل عددهم - قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله - أى موقنين بأنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، ودائما على مر الزمان فى الماضى والحاضر والمستقبل أن تكون الفئة المؤمنة قليلة العدد والعدة ولكنها تكون الغالبة لأنها متصلة بمصدر القوى الغالبة وهى قوة الله سبحانه وتعالى ، والله مع الصابرين فى الميدان عند لقاء العدو .لأن تلك الفئة القليلة مكلفة من الله فى الدنيا لإحقاق الحق وإزهاق الباطل : ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ نعم فعندما تدور المعركة ويحمى وطيسها ليس أمام الجندى المسلم المتسلح بعقيدة الإيمان إلا اللجوء إلى الله : ربنا أفرغ علينا صبرا أى صب علينا الصبر صبًا والصبر فيض من الله سبحانه وتعالى يفيض به على عباده المؤمنين أثناء مواجهتهم للكفار ، هذه الفئة المؤمنة هى التى يسلطها الله على طواغيت الأرض ليزل بها كبرياءهم .

• داود يقتل جالوت وينصب ملكا على بنى إسرائيل :

﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ ﴾ نعم كانت هذه النتيجة التى ترقبوها فلم يخيب الله ظنهم ولأجل أن يذهب الله عنهم الغرور أخبرهم بأنكم هزمتموهم بإذن الله لابقوتكم ،وكان النصر بإرادة الله القوى القهار ، ولكى لايغتر الإنسان بقوته أو ماله أو أولاده فإن القوة لله جميعا وقتل داود جالوت وكان داود فتى صغير السن وجالوت ملكا قويا جبارا وقائدا مرعبا وقذف بالحجر فى وجه جالوت فخر صريعا فداود ألقى الحجر فقط والله أمر الحجر بقتل جالوت كما قال اللهلرسوله محمد صلى الله عليه وسلم - وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى - وقد أراد الله بأن يجعل مصرع هذا الجبار الغشوم على يد الفتى الصغير ليرى الناس أن الجبابرة الذين يرهبونهم ضعاف وكانت هناك حكمة فى أن يتسلم داود القيادة والملك من طالوت بعد أن أدى مهمته بنجاح ، ويرث داود ابنه سليمان وكان هذا العهد هو العهد الذهبى لبنى إسرائيل فى تاريخهم الطويل الملئ بالهزائم والفتن ، وذلك بسبب انتفاضة العقيدة فى نفوسهم بعد الذل والعار والانكسار الذى أصابهم طوال حياتهم ، وأصبحوا الآن أحرارا أصحاب دولة وراية بسبب وجود داود عليه السلام فيهم ولكن هذا العز والرفاهية إلى حين ﴿ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾ أى وآتاه الله الملك بعد طالوت ، وآتاه كذلك النبوة فكان داود ملكا نبيا .

والآن ندخل فى قصة داود عليه السلام فكان ما سبق مقدمة لنصل بها إلى داود عليه السلام ، وقد تقلد الملك بعد طالوت والنبوة بعد صموئيل أو حزقيل على اختلاف العلماء فى ذلك ، وعلمه صناعة ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ

لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ وكلمة دفع : التدافع والصراع بين الناس وتسابق وزحام إلى الغايات ، ومن وراء كل ذلك يد القدرة المدبرة التى تمسك بالخيوط جميعا وتقود الركب المتزاحم المتسابق إلى الخير والنماء والصلاح فى نهاية المطاف ، وإن كان يظن بعض الناس أنه شر في الظاهر ، ولكن في الحقيقة خير وفضل من الله على العالمين ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ هذه الآيات أو هذه العبر والحكم هى من الله سبحانه وتعالى نتلوها عليك يا محمد أى نقصها عليك بالحق .

• حكم داود وسليمان فى الحرث :

والآن نعود إلى موضوع سيدنا داود عليه السلام يقول تعالى في سورة الأنبياء الآيــة «٧٨ : ٧٩» ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ ومعنى يحكمان ليس فى مجلس واحد وإنما حكم كل واحد منهم على انفراد قال صاحب الحرث : إن غنم هذا قد دخلت فى حرتي ليلا فلم تبق فيه شيئا فحكم داود عليه السلام لصاحب الحرث أن يأخذ غنم خصمه فى مقابل فساد حرثه ، ومر صاحب الغنم بسليمان عليه السلام وأخبره بحكم أبيه داود عليه السلام ، فدخل سليمان على أبيه فقال يا نبى الله : إن القضاء غير ما قضيت ، فقال كيف ذلك ؟ فقال ادفع الغنم إلى صاحب الحرث لينتفع بألبانها وأصوافها وادفع الحرث إلى صاحب الغنم ليقوم عليه حتى يعود كما كان ، ثم يعيد كل منهما إلى صاحبه ما تحت يده فقا داود لابنه سليمان عليهم السلام القضاء كلما قضيت وأمضى حكم سليمان ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ فكان حكم داود اجتهاداً وحكم سليمان وحياً لقوله ففهمناها سليمان وكان حكم داود صواباً لأن يأخذ صاحب الحرث الغنم عوضاً عما أفسدته ، ولكن حكم سليمان أصوب وأعدل ، وفيه حث على العمل والجد والنشاط لصاحب الحرث وصاحب الغنم وقال بعض العلماء إنه يجوز للأنبياء الاجتهاد لأنهم تحت مظلة الوحى وهذا خطرلأن الاجتهاد يجوز من الأنبياء فيما لاينزل فيه وحى . .

* * *

• اجتهادات إسلامية :

فقد صلى الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته إلى المسجد الأقصى ، وهذا اجتهاد منه قبل نزول الوحى إلى أن نزل الوحى بالتوجه إلى الكعبة ، وفى معركة بدر الكبرى نزل الرسول وصحابته فى منزل ، فجاء الحباب بن المنذر رضى الله عنه وكان رجلا استراتيجيا فقال يا رسول الله : أهذا المنزل أنزلكه الله لانتقدم عليه خطوة ولا نتأخر خطوة : أم الرأى والمكيدة ؟ فقال رسول الله صلى

الله عليه وسلم : بل الرأى والمكيدة فقال الحباب ليس هذا بمنزل إنما نتقدم ونجعل ماء بدر خلفنا فنشرب ولايشربون أى جيش قريش فالاجتهاد فيما لاينزل فيه وحى جائز وإن كان خطأ فيقوم أحد أصحابه بتصحيحه أو ينزل وحى بالتصويب.

ومثل هذا أخذ الفدية من أسرى بدر فكان اجتهادا ، ونزل الوحى بالتصويب ، في قوله تعالى الآية ٦٧ الأنفال ﴿ما كَانَ لِنبيٍّ أن يكُونَ لَه أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ في الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا واللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وكذلك صلى الرسول على جثة أبى بن سلول وهو زعيم المنافقين فجاء الوحى بالتصحيح في قوله تعالى الآية ٨٤ من سورة التوبة﴿ ولا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُم مَاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ ومثل هذا فى القرآن والسنة والسيرة كثير فلا غبار على اجتهاد الأنبياء والعلماء ، فالمجتهد إذا أصاب فله أجران وإذا أخطأ فله أجر أى أجر اجتهاده .

• الجبال والطير يسبحن مع داود :

﴿ وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين ﴾ - وسخرنا أى طوعنا وذللنا وأمرنا وكل ذلك جائز ، ومنها قوله تعالى الآية ٧٢ من سورة يس : ﴿ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴾ مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين وكان داود إذا مر بالجبال أو أماكن بها طير يسبح فتسبح معه الجبال والطير ، والله قادر على أن يسمعك تسبيح الجمادات والطير والحيوان ولاشئ يعوق قدرته .

وكان داود دائما يقرأ المزامير ويرتلها بصوته الرخيم والمزامير هى التى أنزلها الله على داود لقوله تعالى ﴿ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ الآية ٥٥ من سورة الإسراء - والله اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ، والله سبحانه وتعالى أسمع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم - تعذيب رجلين فى قبرهما يستغيثان من شدة العذاب فقال - رسول الله صلى الله عليه وسلم - إنهما يعذبان وما يعذبان فى كبير كان أحدهما لايستبرئ من بوله أى لايستنجى ،وكان الآخر يمشى بين الناس بالنميمة وكان بعض الصحابة يسير معه ولكن لم يسمعوا ذلك .

﴿ وعلمناه صنعه لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون ﴾ أى علمناه صنعة الدروع وذلك بالإنة الحديد فى يده مثل الشمع يطوعه كيف يشاء وكانت الدروع التى يلبسونها على أجسادهم فى الحروب قطعة واحدة فكانت تعوق المقاتل بسبب ثقلها وعدم مرونتها فكان سيدنا داود يعملها حلقا لتكون أطوع للحركة فى الأخذ والرد ويعتبر داود أول من طوع عملية الدروع لتحصنكم من بأسكم أى تحميكم فى أثناء الحرب ، ويعقب سبحانه وتعالى على

هذا الاختراع الذى جاء على يد داود عليه السلام بقوله ـ فهل أنتم شاكرون .

• تطور العلم فى عهد داود وسليمان

وجاء في سورة النمل الآية ١٥ : ١٦ قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ فعلم داود إنما كان فى قضية الرجلين صاحب الحرث وصاحب الغنم وكان حكما صائبا وعلمه ترتيل الزبور ترتيلا يتجاوب معه الكون كله وعلمه صناعة الحرب وتطويع الحديد له ليصنع منه ما يشاء .

والآن في هذا القرن حدثت طفرة واسعة في العلوم وصلت إلي تحطيم الذرة وصواريخ عابرة للقارات وأقمار صناعية تجوب الفضاء ليلا ونهارا وقالوا : إنها لكشف خبايا الفضاء وهي في الحقيقة للتجسس على الغير ، وكذلك مركبات الفضاء لتأتى بعينات من تربة القمر والمريخ وكذلك صناعة القنابل النووية .

فما الذى جنته البشرية من هذا التقدم المذهل وتلك العلوم التى لم يذكر اسم الله عليها فأصبحت نقمة على البشرية وعلى مخترعيها ولو عرفوا الله وآمنوا به لكانت تلك العلوم نعمة على البشرية واستخدموها فيما يعود على الناس بالخير والرخاء والآمان واستصلحوا بتلك الاختراعات الصحارى الشاسعة على سطح هذه الأرض ولكن كما قلنا نسوا الله فأنساهم أنفسهم وصدق الله العظيم ـ ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ـ وما ذنب الملايين الذين ماتوا وشوهوا عندما ألقت أمريكا قنبلتين ذريتين على مدينتى هيروشيما وناجازاكى وأصبحت المدينتان بمن فيهما فى خبر كان وما ذنب الحوامل اللاتى بقرت بطونهن وذبحت أطفالهن أمام أعينهن ودفن الرجال أحياء ـ الأ انْ يقولوا ربنا الله فى البوسنة والهرسك وكوسوفو وألبانيا والشيشان وكشمير ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم . وعلم سليمان يأتى فيما بعد وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين «نَعَمْ الحمد لله على فضله وكرمه ، وآثرهما على كثير من عباده المؤمنين .

وفى سورة سبأ الآية «١٠ : ١٢» يقول تعالى ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾ ومن الفضل انتصاره على جالوت وقتله وإنزال الزبور عليه ورَزَقَهُ بسليمان وعلمه صناعة العدد الحربية ومن أفضال الله عليه إذ جعل الجبال والطير تسبح معه بالعشىَ والإبكار وكذلك إلانة الحديد تعتبر معجزة له من الله سبحانه وتعالى وجعله نبيا ملكا والله سبحانه وتعالى قادر على كل شئ فالكل مخلوقاته تسمع الأمر فتستجيب له :﴿ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ﴾ وهو تماسك الحلقات وذلك بتقدير تام ﴿ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ عملا متقنا لأنى مطلع على عملكم وأجازى على

الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف وهو الغني وجميع المخلوقات فقراء إليه.

في سورة ص الآية «١٧ : ٢٦» ﴿ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ وهذا الكلام موجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصبر على ما يلاقيه من قومه أهل مكة فأمر الله بالصبر على الأذى وذكره بحال الأنبياء من قبله مع أقوامهم الطغاة الذين آذوهم وسبوهم واعتدوا عليهم ، وكيف أنهم صبروا حتى جاءهم نصرنا وتم هلاك الكافرين .

• داود وتسخير الجبال معه

﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ أي وتذكر عبدنا داود وكلمة عبدنا فيها تشريف عظيم ذا الأيدي إنه أواب أي كثير التوبة ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ بأمر من الله تم تسخير الجبال بأن تسبح الله معه بالعشي والإشراق والعشي هو الوقت المعروف بين المغرب والعشاء لقوله تعالى عن إخوة يوسف ـ وجاءوا أباهم عشاءً يبكون ـ والإشراق يكون بعد طلوع الشمس وانتشار نورها وتلك معجزة خارقة لسيدنا داود عليه السلام ، وقد يقف الإنسان مذهولاً أمام هذه المعجزة : الجبال الجامدة تسبح الله مع داود بالعشي والإشراق على سمع من الناس جميعاً لأن ذلك يخالف مألوفهم ولماذا الاندهاش، فإن الناس عبيد الله والجبال عبيد الله فإذا سبح داود الله تسبح الجبال معه وتردد تسابيحه عندما يأمرها الله﴿ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴾ وكذلك الطير تتجمع حوله في زحام شديد لترتل معه ترانيمه وتسبح الله معه كل له أواب سواء الجبال والطير كلهن له أواب أي رجاع يرجعن ما يتلوه من حكم وأناشيد ، وقد وهب له الله صوتا جذاباً رخيماً يرتل به ويسبح به الله سبحانه وتعالى وهذه هبة من الله لداود عليه السلام ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾ أي قويناه بكثرة الجنود والنصر وكان يسوس هذا الملك بالحكمة تارة وبالحزم تارة أخرى وفصل الخطاب أي في القضايا بحكمة لاتردد فيها .

* * *

●الخصمان اللذان تسوروا المحراب

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾ فالله سبحانه وتعالى يقص على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قصص الأنبياء من قبله ليتعزى بها ويصبر على ما يناله من الأعداء من صنوف الأذى وهنا يقول سبحانه وتعالى ـ وهل آتاك نبؤا الخصم إذ تسوروا المحراب وفي هذه القصة خاضت وفاضت أكثر التفاسير سيراً مع الإسرائيليات خوضاً يتنافى

مع طبيعة النبوة ، ولا يتفق إطلاقا مع حقيقتها ، ونسوا قوله تعالى - وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب - وقولهم : إن داود كان في محرابه يقرأ الزبور إذ جاء طائر كأحسن ما يكون من الطير فجعل يدرج بين يديه فهم داود أن يتناوله بيده فاستدرج حتى وقع في كوة المحراب ، فدنا منه ليأخذه فطار فاطلع ليبصره فأشرف على امرأة جميلة تغتسل فلما رأته غطت جسدها بشعرها فزادها جمالاً فوقعت في قلبه ، فسأل عنها قيل إنها امرأة أوريا بن حنان وهو فى غزوة مع الجيش ، فأمر داود قائد الجيش بأن يجعل أوريا فى مقدمة الجيش ليتم قتله فلما جاءه خبر مقتله تزوج داود بتلك المرأة بعد انقضاء عدتها ، وهذا الفعل لايقع من عامة الناس فكيف يقع من نبى متصل بالسماء أى بالوحى .

وتلك قصة صغيرة مما حوته بعض كتب التفاسير : وهل أتاك نبؤا الخصم إذ تسوروا المحراب . وكان داود عليه السلام يقسم أيامه يوما لأهله ويوماً للقضاء بين الناس ويوماً للعبادة فإذا دخل المحراب لايدخل عليه أحد حتى يخرج وفى اليوم المخصص للعبادة إذ برجلين يدخلان عليه بدون استئذان بل دخلا عليه من فوق المحراب ، وذلك معنى تسوروا المحراب أى تسلقوا الحائط من جهة المحراب ، وأصح الأقوال أنهم ملكان أرسلهما الله لامتحان عبده داود عليه السلام إذ دخلوا على داود وهو فى محرابه يرتل الزبور بين يدى الله ففزع منهم . قالوا لاتخف أى كن مطمئناً : خصمان بغى بعضهما على بعض فاحكم بيننا بالحق ولاتشطط واهدنا إلى سواء الصراط هل لو كانا رجلين من البشر يقولان لنبى لهم احكم بيننا بالحق ولاتشطط إنما هما ملكان أرسلهما الله سبحانه وتعالى بهذه القصة ليبتلى بها عبده داود عليه السلام وهذه القصة هى : ﴿إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ أى اجعلها لى فى ملكى وكفالتى وشدد على فى الأمر ، وأغلظ لى فى القول ،وهذه القضية كما عرضها أحد الخصمين تحمل فى طياتها ظلماً فادحاً لصاحب النعجة الواحدة، فإن الذى عرض القضية أولاً كان هو المظلوم فى ظاهر الأمر ، وهنا اندفع داود فى الحكم قبل أن يأخذ رأى الآخر ولم يوجه إليه أى سؤال ولم له دفاعا ولكنه مضى يحكم وقد هزه الظلم الذى سمعه من الطرف الأول هزاً عنيفاً . . ولكن الواجب على القاضى أن لايتعجل فى الحكم قبل أن يمنح الطرف الآخر فرصة للدفاع عن قضيته فربما يتغير وجه المسألة وتنكشف الحقيقة فربما يكون المظلوم ظالما وبدأ داود ينطق بالحكم على ما سمع من الأول ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ وقليل ما هم - أى هذه الفئة قليلة في مجتمع يعبد المال والجاه .

وهنا اختفى الرجلان وظن داود أنما فتناه أي تيقن بأن ما حصل إنما هو ابتلاء من الله سبحانه وتعالى فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب وخرَّ لاتطلق على الركوع إنما تطلق على السجود ، أو ربما ركع ثم خر ساجداً وأناب أى تاب عن هذا الخطأ .

وفى قوله فاستغفر ربه شطح بعض التفسير بما لايتناسب مع نبوة سيدنا داود عليه السلام وهذا بعض مما قالوه - استغفر ربه لأنه نظر إلى المرأة وهى عارية حتى شبع منها ، ولأنه قدم زوجها أوريا فى مواجهة العدو ليقتل ويتزوج هذه المرأة..

إنما ذكرنا ذلك وهى نقطة من بحر لكى لايغتر قارئ بتلك التفاسير فيأخذ كل ما فيها على أنه حق ﴿ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ فغفرنا له ذلك الخطأ فى الحكم بين الرجلين إذ أخذ رأى أحدهما ولم يأخذ رأى الآخر ، وإن له عندنا لزلفى أى قربى وحسن مآب فى رجوعه الينا .

• نداء الله لداود بأن يتبع منهج الله فى خلافته

﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ لم يوفق فى الامتحان ولكن الله غفر له هذا الخطأ ويأمره بالتحرى واليقظة فيما يجد له من قضايا فيما بعد ، وقد وضح الله له الأمور فقال له : داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فالأنبياء يخلف بعضهم بعضا ليحكموا بشريعة الله بين عباد الله فى أرض الله ، ولاتتبع الهوى أى الاندفاع فى الحكم بدون روية ولاتثبت فى أصل القضية

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ إن الذين يسيرون على هواهم فى القضايا بين الناس ولايتثبتون فى الحق ولايراجعون أنفسهم ، لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب أى نسوا أن الله سيحاسبهم على أخطائهم ونقول إن أخطاء الأنبياء فى ما لاينزل فيه وحى لاغبار عليه ، ولكن ينزل الوحى بتصحيح الوضع لأنهم قدوة يقتدى بهم القاضى فى الأحكام، وقد بين الله سبحانه وتعالى الخطأ فى حكم داود فلا يقع بعد ذلك حاكم بما وقع فيه داود ، لأن الشريعة بينت كل شئ فلا وحى بعد ذلك ولا عذر للقاضى بعد ذلك .

اللهم وفقنا لما تحبه وترضاه آمين* .

---

* إن الرأى الذى أبداه المؤلف بعيد عن الحقيقة ، فالخصمان من الإنس ، ولو كانا ملكين لما كانا فى حاجة إلي أن يتسورا المحراب ، والقصة واقعية وليست رمزية على الإطلاق .

سليمان

عليه السلام

ـسحاب الجاه والنفوذ والسلطان غالباً لايستجيبون لنداء الحق والعقل ، إنما يستجيبون لقهر يفوق ما هم عليه . ولقد نادى فرعون فى قومه وقال « أنا ربكم الأعلى » فلما جاءته القوة القاهرة فى صورة موج طاغ صاح وقال : « آمنت بالذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين . .ولكنه إيمان بعد فوات الأوان .

ومعنا الآن مثل آخر ملكة سبأ عاصمة اليمن ، ملكة أوتيت من كل شئ أموال وقصور وحدائق ذات بهجة وأنهار ورجال وعتاد ،وقالوا : « نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد » فلما رأوا قوة سليمان المكونة من الجن والإنس والطير وهى تفوق قوتهم وبأسهم بمراحل ، وصاحت ملكتهم وقالت : « رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين » وهو إسلام نفعها ، ونفع قومها فى الدنيا والآخرة .

● حول قصة سليمان عليه السلام

لاتوجد قصة من قصص الأنبياء حامت حولها الخرافات والأباطيل والترهات والأوهام مثل ما في قصة سيدنا سليمان عليه السلام ، وهى كلها إسرائيليات أخذها بعض المفسرين بدون تحقيق ولاتمحيص ، إنما أخذوها من بعض مسلمة أهل الكتاب الذين دخلوا فى الإسلام ليفسدوه من الداخل بعدما عز عليهم هزيمته وجها لوجه .

ففى سورة ص الآية « ٣٠ : ٤٠ »﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ لايذكر داود إلا ويذكر معه ابنه سليمان ، ويقول الله سبحانه عنه :«نعم العبد إنه أواب » رجاع إلي الحق .

﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴾ وكان سليمان عليه السلام ملكاً رسولا معا وهذه خاصية له لايشاركه فيها أحد من الأنبياء أو الملوك وقد جلس يوما لاستعراض قوة من قواته علي ظهور الخيل الجياد والصافنات من الخيل التي ترفع إحدى رجليها الأماميتين لتقف على ثلاث أرجل ﴿ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ والعرب تكنى الخيل بالخير أحببت حب الخيل عن ذكر ربى بهذه المناورة الحربية وذكر ربه كانت صلاة نفل ، لأن أوقات الصلاة المفروضة لاتتأخر عن موعدها سواء فى أوقات الراحة أو فى التدريب ، حتى توارت بالحجاب أى توارت الخيل في السباق بالحجاب ، والحجاب هنا هو حجاب البعد ، أى اختفت الخيل حتى لم يرها بنظره ﴿ رُدُّوهَا عَلَيَّ ﴾ أى أمر الجان للقيام بهذه المهمة والرجوع إلى المنصة التى يجلس عليها سليمان عليه السلام وحاشيته ﴿ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ فلما وصلت قام سليمان بمسح سوقها أى سيقانها وأعناقها من العرق تشريفاً لها ، فهى اليد

الطولى والقوة القادرة على كسر شوكة الأعداء ، وقد أنزل الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم سورة باسم الخيل وهى سورة العاديات « أى من العدو أى سرعة الجرى » ففى هذه الآية والآية التى قبلها شطح بعض المفسرين وقالوا إن التى توارت بالحجاب هى الشمس فقال ردوها على أى الشمس ليصلى العصر التى فاتته بسبب استعراضه لهذه الخيل والآية لاتشير من قريب أو بعيد إلى هذه القصة لأن معنى رجوع الشمس بعد غروبها معناه خراب لأن الشمس تسير وفق نظام محكم كما أمرها خالقها سبحانه وتعالى وهل الجان تستطيع رد الشمس بعد غروبها بقوله ردوها عليَّ إنما معنى ردوها عليَّ أى الخيل وقالوا عن قوله فطفق مسحاً بالسوق والأعناق أى قام بالسيف إلى هذه الخيل بضرب سوقها وأعناقها لأنها ألهته عن صلاة العصر ، وهذا الكلام غير معقول ما ذنب هذه الخيل التى قام الرجال عليها بمناورة حربية تدريبية إنما هى الأقوال لاصلة لها بالآيتين .

• فتنة سليمان

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ هذه الفتنة لم يبينها القرآن الكريم ولانخوض فيها كما خاض غيرنا فذهبوا بها بعيداً جداً ثم عادوا بخفى حنين ، وتعقدت معهم الفتنة والجسد والبحث فيهما أشد مما كانت فى البداية فلا أراحوا ولااستراحوا . وليس أمامنا فى هذه القضية إلا بصيص من شعاع وهو حديث رواه أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه البخارى فى صحيحه مرفوعاً ونصه : قال سليمان لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله ، ولم يقل : « إن شاء الله فطاف عليهن جميعاً فلم تحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق طفل ، والذى نفسى بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا أجمعون » وربما تكون هذه هى الفتنة التى تشير إليها الآية وأن يكون الجسد هو الوليد الشق ولانصول ولانجول في متاهات إسرائيلية وخرافية تبعد القارئ عن المضمون .

ثم أناب أى رجع إلى الله يستغفره ويتوب إليه وهذه بعض من امتحانات يمتحن الله بها أنبياءه وتابعيهم من أصحاب الدعوات فإما أن ينجح أو يخفق فتأتى العناية الإلهية فتعينهم على الحق : اليهود يعيبون على رسولنا بأنه تزوج تسعا من النساء ولايعيبون على رسولهم سليمان عليه السلام الذى تزوج سبعين امرأة ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ طلب سليمان عليه السلام من الله الغفران على ما فرط فى جنب الله ، وكما يقال بأن حسنات الأبرار سيئات المقربين وكان صلى الله عليه وسلم وهو سيد الأنبياء يستغفر الله في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة فالاستغفار عبادة وإن لم

ترتكب ذنبا . وهب لى ملكا لاينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب ...»
ولايظن ظان بأن هذا الطلب دنيوى لأن الأنبياء أعلم الناس بحقيقة الدنيا وأنها لاتساوى عند الله جناح بعوضة ، إنما كان طلبه هذا لتكون معجزة خاصة له وهذا الملك بعد النبوة ، فهو نبى وملك ليستعمل قوة الملك فى قهر الجبابرة والظلمة وتثبيت شرع الله ، وإن كان النبى كذلك مسئولا عن تنفيذ شرع الله وإحقاق الحق وإبطال الباطل ، أما الملك فقد طلبه سليمان عليه السلام ليكون معجزة له لايشاركه فيها أحد من الملوك لأنه نبى وفى الوقت نفسه إنك أنت الوهاب حقاً لا واهب غيرك فكل شئ بيدك .

• نعم الله على سليمان

﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ تطلق الرياح فى الأغلب على الخير وتطلق الريح فى الأغلب على الشر - ففى سورة الروم - ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات - وفى سورة الجاثية - اختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح لآيات لقوم يعقلون - وفى سورة الروم - ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجرى الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون - وفى سورة لقمان - أولم تر أن الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله أى الرياح - وفى سورة الأعراف - وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته .

أما فى الريح :

ففى سورة الروم - ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفراً لظلوا من بعده يكفرون - وفى سورة القمر قوم عاد - إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً فى يوم نحس مستمر .. وفى سورة يونس - هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح ، فلما جاءت الريح هنا فى موضوع خير أعقبها بطيبة - بريح طيبة ، ولو لا كلمة طيبة لأغرقتهم الريح - ،قوله تعالى فسخرنا الريح تجرى بأمره أى بأمر سليمان ، والحقيقة هو أمر الله قام بتنفيذه عبد من عباد الله مثل قوله تعالى فى سورة إبراهيم : وسخر لكم الفلك تجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار .

وفى سورة يس - **﴿ أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون * وذللناها لهم أى ، سخرناها لهم - فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ﴾** -
وهذا تسخير عامَ أما تسخير الريح لسليمان عليه السلام فذلك تسخير خاص رخاء حيث أصاب أى حيث اراد .

﴿ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴾ أى وسخر له كذلك الشياطين يعملون بأمره ما يشاء من بناء ومحاريب وقلاع وحصون وقصور وجفان ، ومنهم غواصون

يغوصون في البحار والأنهار لاستخراج اللؤلؤ والمرجان ، ومنهم كذلك المقرنون في الأصفاد أي الموثقين بالحبال والسلاسل ، وذلك بسبب تمردهم على طاعته ﴿ هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ﴾ هذا عطاؤنا نبوة وملك أي سلطانا لتسخير الريح لتمطر حيث أراد وتسخير الشياطين ليعملوا له ما يشاء ، وسلطة عقاب من يتمرد منهم ويعصى أمره ، وكل ذلك لخدمة الدعوة فأعط من تشاء وأمسك عمن تشاء ما تشاء ، وذلك بغير حساب ، هذا في الدنيا أما في الآخرة ﴿ وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب ﴾ لزلفى أي قربى وحسن رجوع إلى الله .

وجاء في سورة الأنبياء الآية « ٨١ : ٨٢ » ﴿ ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين ﴾ ففي سورة ص قال تعالى فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء لينه ، وفي سورة الأنبياء عاصفة اى هوجاء - هنا الريح رخاء هادئة ، وهناك عاصفة .. هوجاء مزمجرة ، ذلك حسب الطلب ، وحسب المصلحة التي يراها سليمان عليه السلام . تلك الرخاء تجرى بأمره وكذلك العاصفة تجرى كذلك بأمر ، والكل بأمره الله فأمر سليمان من أمر الله مثل قوله صلى الله عليه وسلم - من أطاعني فقد أطاع الله - والأرض المباركة المشار إليها هنا هي فلسطين الحبيبة أعادها الله إلى حظيرة الإسلام قريبا إن شاء الله بدليل قوله تعالى - سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ﴿ ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين ﴾ جاء معناها في سورة ص .

وجاء في سورة النمل من الآية ١٦ : ٤٤ قال تعالى ﴿ وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين ﴾ هو إرث النبوة : أما الملك فلم يرثه من أبيه إنما هو دعاء من سليمان عليه السلام فاستجاب الله له تلك خاصية لسليمان لم يشاركه فيها أحد من الأنبياء أو الملوك ، وليس معنى ذلك أنه أفضل من أحد من الأنبياء إنما هي معجزة له ، وكذلك تعليمه لغات الطير وتسخير الرياح ، وكل ذلك نعم من الله سبحانه وتعالى أنعمها على عبده سليمان عليه السلام . وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير - ليس للطيور كلها لغة واحدة بل لكل فصيلة من الطيور لغة خاصة بها ولكن الله سبحانه وتعالى علم سليمان عليه السلام جميع لغات فصائل الطيور كلها . وأوتينا من كل شيئ يتحدث بنعم الله عليه من نبوة وملك ولغات الطيور وسلطة على الجان والإنس والطير إن هذه النعم التي تفضل الله بها عليه لايستطيع أن يتملكها بنفسه إنما من فضل الله عليه وهي أفضال بينة وظاهرة للعيان .

• اجتماع سليمان بجنوده من الأنس والجن والطير

﴿ وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون ﴾ وليس معنى

حشر لسليمان جميع الجن والإنس والطير التى فى الدنيا كلها إنما المحشورون له الذين هم فى دائرة ملكه وسلطانه وهى - فلسطين والأردن ولبنان وسوريا والعراق . فلا يعقل أن يكون جميع الجن فى بقية العالم محشورين لسليمان - أى وجمعنا لسليمان جنوداً من الجن وقدم الجن على الإنس لأنه الأقوى عموماً وقد قدم الإنس على الطير لأن الإنسان أقوى من الطير ، فالترتيب متناسق مع البلاغة فهم يوزعون بالرجال الموكلين بتنظيم الصفوف حتى لايخرج منهم أحد عن النظام - وربما يوزعون أى بالتفريق والتوزيع بين طوائف الجن والإنس والطير•.

• سليمان مع النملة

﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ أى فى سيرهم ومعنى وادى النمل أى كثير النمل ، ولاندرى مكان هذا الوادى إنما نؤمن بذلك كما قصه لنا القرآن الكريم ، والعبرة فى مضمون القصة لا فى المكان .. صاحت نملة ، يا أيها النمل محذرة ومنذرة قومها : ادخلوا مساكنكم لتحتموا بها لا يحطمنكم سليمان وجنوده ، وعللت ذلك بأنهم لايشعرون ،وجائز أن تكون هذه النملة من الحراس القائمين على حراسة حدود واديهم فإن نظام مملكة النمل نظام محكم لايدانيه نظام مملكة البشر :﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴾ تبسم ولكن لغرابة الموقف جعلته لايضحك لأن الضحك فوق التبسم والنمل ليس من فصيلة الطير الذى علمه الله لغته ، ولكن موضوع النملة وسمع سليمان لها يندرج تحت قول سليمان وأوتينا من كل شيئ إن هذا لهو الفضل المبين :﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ وقال رب أوزعنى أى ألهمنى وأعنى لشكر نعمتك التى أنعمت على ويجب على الإنسان ان يستعين بالله على شكر الله وعلى والدى أى أعنى على أن أشكرك على ما أنعمت به على وعلى والدى وأعنى على أن أعمل صالحا أى واعنى على أن أعمل من الصالحات ما يرضيك وأدخلنى فى عبادك الصالحين فلا يغتر الإنسان بعمله فإن عمل الإنسان مهما كان لايدخله الجنة وهو ما يعنى قول سليمان عليه السلام وأدخلنى برحمتك لابعملى ضمن عبادك الصالحين المقبولين المرضى عنهم .

• سليمان يتفقد الطير

﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ ﴾ أى الطيور المنتخبة من فصائلها لا أن يتفقد جميع الطيور بل الممثلة لفصائلها فمثلا الحمامة تمثل الحمائم فى مجلس سليمان والصقر يمثل

• يوزعون : يرد أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا .

الصقور وهكذا جميع الطيور ممثلة بمندوب عنها في مجلس سليمان عليه السلام ﴿ فقال ما لي لا أرى الهدهد ﴾ أم كان من الغائبين ﴾ جميع الطيور بل عن أداء عمله وبدون عذر مقدم ﴿ لأعذبنه عذابا شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين ﴾ وهكذا يكون الحزم والشدة على من تقلد وظيفة ولا يؤدي عمله على الوجه الصحيح ، إلا أن يأتي بسبب واضح بين عن سبب غيابه ﴿ فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين ﴾ ولم يكن هذا القول من الهدهد خروجا على حدود الأدب في مخاطبة الملوك ، فالطائر الصغير يعلم أنه يخاطب ملكا ورسولا ومع ذلك فهذه الصفات أى النبوة والملك لاتمنحانه القدرة على الإحاطة بكل شيئ ، والملك الرسول يعلم هذا جيدا ويتقبل هذا من الطائر الصغير لأن سليمان عليه السلام يومن بأن المحيط بكل شيئ هو الله سبحانه وتعالى .

هناك طوائف من الذين ينسبون أنفسهم إلى الإسلام تظن فى أقطابها الإحاطة بكل شيئ وأطلقوا عليهم « أهل الكشف أو المكاشفة ، وأنهم قد أزيلت عنهم الحجب وكشف عنهم الغطاء ، وأن لهم أسرارا ومكاشفات وكل هذا مع تجاهل كتاب الله « أحطت بما لم تحط به » والملك الرسول عليه السلام لم يعترض على هذه المقالة لأنها مقالة حق وصدق . . فأنى للنبوة أن تجعل صاحبها بكل شيئ محيطا ؟ ولكن الجاهلين جعلوا هذا لأوليائهم : « وجئتك من سبأ بنبأ يقين » ما هو اليقين الذى جاء به الهدهد ليفلت عن العذاب الشديد أو الذبح ؟ ﴿ إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم ﴾ لو وجد الهدهد رجلا يملكهم ما كان فى هذا غرابة ولكنه وجد امرأة تملكهم وهذا موضوع الغرابة الذى افترض الطائر الصغير أنها تخالف السنن والأوضاع ، التى يجب أن تكون ، فلعل الذين فقدوا قوامتهم على النساء يتعلمون من الهدهد الصغير .

لقد وجد الهدهد أن سنن الفطرة ضاعت مع هؤلاء القوم فملكوا أمرهم امرأة وتركوا سنة الفطرة التى جاءت بها الأديان السماوية : « الرجال قوامون على النساء » وما شذت عن هذه القاعدة أبدا مملكة الحيوان والطير ، وإن خرجت عليها أحيانا مملكة بني الإنسان :

ونعود إلى الهدهد لنرى ماذا قال لسليمان عليه السلام « وأوتيت من كل شيئ » يعنى عظمة ملكها وسعته وتوافر أسباب الرفاهية وذلك بسبب الحرية والديمقراطية التى يوفرها الحاكم لرعيته فيعشون فى أمان واطمئنان . حتى أصبحت مملكة سبأ كأنها جنة غناء كما ذكرها القرآن الكريم فى سورة سبأ الآية ١٥ يقول تعالى :﴿ لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ﴾ .

﴿ **ولها عرش عظيم** ﴾ يقول بعض المفسرين : إن هذا العرش هو الكرسى الذى تجلس عليه الملكة ولكنى لا أرى ذلك لأنه لو كان العرش هو الكرسى فهناك الكثير من الرجال يستطيع حمله إنما هو قصرها أو مجلس الشورى أو مجلس الشعب ، ولذلك قال العفريت «و إنى عليه لقوى أمين » فلو كان الكرسى هو العرش ما كان يقول العفريت وإنى عليه لقوى أمين . . وهل يقول سيدنا سليمان عليه السلام نكروا لها عرشها أى نكروا لها الكرسى .

• الهدهد يقص على سليمان ما رآه فى مملكة سبأ

﴿ وجَدتُّهَا وقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ للشَّمْسِ من دُونِ اللَّهِ ﴾ ولايزال الهدهد واقفا أمام سليمان النبى الملك يكشف ما رآه ويسرد مفردات القصة جملة بعد جملة : وسليمان عليه السلام ينصت إلى ما يقوله الهدهد وبدون اكتراث ولاتململ ولااحتقار لهذا الهدهد الصغير . وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله هذه النقطة التى استثارت الهدهد : يسجدون للشمس من دون الله وجعل الهدهد المرأة فى المقدمة وجعل قومها تبعا لها . لم يقل وجدتهم بل قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله فقد وجد الهدهد فى مملكة الإنسان من يسجد للشمس وينسى رب الشمس الذى سخرها له . ولما كانت الطيور لاتتفاوت ولاتختلف كسائر البشر فالبشر منهم المؤمن ومنهم الكافر ومنهم المطيع ومنهم العاصى ، أما مملكة الطيور فهى شيئ آخر لاتتفاوت درجات إيمانهم يخالفها ، ولذلك فإن ما قاله الهدهد يمثل اتجاه مملكة الطيور بأكملها وهو أن السجود لايكون إلا لرب العالمين - لعل الطوائف من بنى الإنسان التى تسجد للحجارة والذين يرتمون على المقاصير وأعتابها ، ولعل هولاء الذين يسجدون للملوك والنار والأبقار - لعل هؤلاء وغيرهم يتعلمون من الهدهد الصغير أن السجود والخشوع لايكون إلا لرب العالمين .

﴿ وزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ ﴾وزين لهم الشيطان أعمالهم أى ما هم فيه من الكفر والضلال فصدهم عن طريق التوحيد والهداية ، فهم لايهتدون إلى الله بسبب ظلمة قلوبهم ﴿ أَلاَّ يَسْجُدُوا للَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ويَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ ومَا تُعْلِنُونَ ﴾ سبحانك ربى هذا كله من الهدهد الطائر الصغير ونطق به حقا - ولم يعتبر به الإنسان . . درس آخر لعل الجهلاء الواهمين يتعلمون من الطائر الصغير . إذ يقول الله الذى يخرج الخبأ - المخبوء - فى السموات والأرض فلعل أصحاب المندل والكف والفنجان وضرب الرمل وطوالع النجوم ومدعى الاتصال بالجن ، لعل هؤلاء وغيرهم يتعلمون من الهدهد الذى آمن أن الله تعالى وحده هو الذى يخرج المستتر فى السموات والأرض ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾فقد ذكر الهدهد أن

ملكة سبأ لها عرش عظيم وهنا رب العرش العظيم فعرش ملكة سبأ عظيم بالنسبة للمخلوقات وعرش الله عظيم بالنسبة لخالق المخلوقات ﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ وإلى هنا ينتهي الهدهد من سرد قصته عن ملكة سبأ وقومها وانتظر البراءة من سليمان عليه السلام التى تنجيه من العذاب الأليم أو الذبح ، ولكن سليمان عليه السلام لم يأخذ القصة على علاتها فلابد من التحقق في كل ما قاله الهدهد وهو مازال متهماً بالغياب ﴿ اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ وسليمان عليه السلام لم يرسل أحدا غيره لأنه صاحب القصة وهو العارف بمكان القوم والطريق المؤدى إلى مجلسهم ، ثم توار عنهم فانظر ماذا يرجعون أى بماذا يجيبون عما فى الكتاب . ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾ إنها الدبلوماسية الفذة الذكية التى استحقت بها أن تكون عليهم ملكة ، فلا تشنج ولاتهيج ،وقالت سوف أدمره وألقيه هو وجنوده فى البحر وأنا القوة الضاربة فى هذه المنطقة . ولكن فى هدوء وبكل رزانة عرضت الأمر على رجال مملكتها ديمقراطية فى أعلى صورها لم يستطع كثير من المسؤلين العرب مساواتها فذكرت الكتاب بأنه كتاب كريم مع أن سليمان أبلغها فى هذا الكتاب من التهديد والوعيد وطلب منها التسليم ، وأن تأتي هي وملأوها إليه مسلمين ﴿ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ وقرأت عليهم ما فى الكتاب بعد البسملة - خمس كلمات لاأكثر ولا أقل لا خمس عشرة صفحة ولاعشرين صفحة من ورق الفولوسكاب إنها خمس كلمات فيها كل ما يغنى عن آلاف الكلمات الأمر جد خطير إما الإستسلام أو إزالتهم من الحكم أذلاء ولابد من أخذ رأى رجال دولتها . ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴾ هـــذه الشورى التى امر الله بها حكام المسلمين فلم يطبقوها ، وطبقتها أمراه حاكمة تسجد للشمس من دون الله وطلبت أخذ رأيهم فى هذه النازلة الهوجاء ، وأرادت أن تختبر صلابتهم وحزمهم فى مواجهة العدو الذى أنذرهم بأسوأ العواقب ، وأبلغتهم أنها لاتقطع أمراً إلا بعد مشورتهم - وأمرهم شورى انظروا ، واسمعوا يا حكام العرب من أولى بهذه الشورى ؟ أنتم أم المرأة الكافرة ؟ ﴿ قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ كل ما عرضوه عليها هى القوة والبأس لكى يطمئن قلبها فإن القوة العسكرية قوة هوجاء عمياء متغطرسة إن لم تحكمها قيادة سياسية واعية ، ففى التاريخ القديم الذى نذكره الآن - قالوا نحن أولوا قوة وألوا بأس شديد - وفى التاريخ الحديث قالوا نحن أقوى قوة ضاربة فى الشرق الأوسط - فالقوة الأولى أسلمت بسبب القيادة السياسية الماهرة - والقوة الثانية استسلمت وذلك بسبب غياب القيادة السياسية المحنكة .

وقد قال الشيخ محمد الغزالى رحمه الله - إن حكام المسلمين هزمتهم امرأة مجوسية كافرة - يقصد أنديرا غاندى رئيسة وزراء الهند فى الحرب مع باكستان - وحكام العرب هزمتهم امرأة عجوز شمطاء يقصد جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل فى حرب ٦٧ ﴿ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ ففوضوا لها التصرف فى الأمر لما يعلمون عنها بالرأى الصائب فنحن على استعداد لملاقاة العدو .
لكنها رأت غير ذلك حفاظاً على أرواح مواطنيها ما دام هناك البديل وطرق السلامة والمهادنة كثيرة ، وهنا كشفت ما فى دخيلة قلبها بعد أن اطمأنت على استعدادات رجالها لخوض المعركة : ﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ﴾ وهى تظن أن سليمان ملك مثل ملوك الأرض الظلمة الطغاة الذين ينهبون أموال شعوبهم ويضعونها فى بنوك أعدائهم ﴿ وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ والأعزة هنا تشير إلى أصحاب العدل والشورى مثل حكومتها ، والواقفون بالمرصاد بالقلم واللسان يدافعون عن الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان سبحان الله ملكة سبأ فى هذا كانت تنظر فى صفح الغيب ، هؤلاء ملوك العرب يفعلون بشعوبهم ما حكته بلقيس ملكة سبأ وكان ذلك من الله سبحانه وتعالى إرهاصاً بقرب إسلامها هى وقومها والله على كل شيئ قدير ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ وهذه أول باب من أبواب المسالمة مع استعداد للقتال بدأت الملكة السياسية اللبقة التى تعرف كيف تناور وتحاور ، فربما تكون هذه الهدية مانعة لسليمان عن مهاجمة ملكها وتدمير مدينتها فهى تبدأ بالملاينة قبل المشاحنة . وكم كنا نتمنى أن يكون عند بعض حكامنا مثلها فى السياسة - على الأقل .
﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ ﴾ أى جاء الوفد حاملاً معه الهدية المرسلة من الملكة التى لاتريد الحرب قبل الود ﴿ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ استهزاء بهم إذ يرشونه بالمال ليتنازل عن دعوته لهم بأن يعبدوا الله وحده وأن يكون السجود لله لا إلى غيره مهما كان هذا الغير ، فإن الله سبحانه وتعالى آتانى خيراً من ذلك أعطانى النبوة والملك وسخر لى الجن والإنس والطير فلاحاجة لى بهديتكم فأنا لست طالب دنيا لكى أفرح بهذه الأموال الزائلة بل أنتم بهديتكم تفرحون ﴿ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ ﴾ يوجه سليمان عليه السلام إلى رئيس الوفد الذى جاء بالهدية بقوله : ارجع إليهم أى إلى ملكتكم ورجال دولتها وفى هذه الجملة البسيطة التى تنذر بالشر ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ أى لن يستطيعوا الوقوف أمامها لكثرتها وقوتها ، فهى مؤلفة من الجن والإنس والطير وهذا شيئ لم يعهدوه فى حياتهم ، ولاذكرت مثله التواريخ ، ولنخرجنهم منها اذله وليس معنى ذلك بأن

سليمان سيخرج أهل اليمن من اليمن ، إنما الخروج للسلطة الحاكمة خروجاً مادياً أى هروباً خارج البلاد ، أو الخروج المعنوى بإزالة سلطانهم وتقديمهم للمحاكمة ، بسبب إفساد عقيدة الناس . أذلة وهم صاغرون ، فقد سلب ملكهم وعزهم .
ورجع الوفد وهم حاملو الرشوة التي لم يقبلها سليمان ، لأنها ليست هدية ، وربما يقول أحد الناس : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبل الهدية . وقد روى مالك عن عطاء بن عبد الله الخرساني قال قال رسول الله صلى الله عليه تصافحوا يذهب الغل وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء » وقد رفض الخلفاء من بعده الهدايا وقيل إن الرسول قبل الهدية فقال عمر رضى الله عنه كانت لرسول الله هدية أما لنا فرشوة .
﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ وقد عرف سليمان عليه السلام بأن رجوع الرشوة مع الوفد ورؤية الوفد لجيوش سليمان التي لاتقهر ، عرف بأنها ستأتي هي ورجال حاشيتها ليعلنوا إسلامهم : ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ تطوع هذا العفريت بأن يأتي بالعرش قبل أن تقوم من مقامك أى قبل أن تنهى مجلسك وإني لقوى آمين . قوى على رفعه من الأرض قوى على حمله على السير به بسرعة البرق من اليمن إلى فلسطين الحبيبة ردها الله إلى حظيرة الإسلام من أيدى حثالة الناس الملعونين في كل كتاب وهم اليهود سلالة القردة الخنازير آمين ﴿ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ قال البعض إنه هو سليمان نفسه وهذا خطأ لأن سليمان عليه السلام هو الذى طلب مجيئ العرش ، وقال البعض : إنه ملك وهذا خطأ لأن الملائكة غير مسخرين لسليمان وقال البعض : إنه جبريل وهو خطأ مثل ما قبله . وقال البعض إنه الخضر عليه السلام والخضر توفى فى زمن سيدنا موسى عليه السلام والقول الذى أجمع عليه أغلب المفسرين هو آصف بن برخيا من وزراء سيدنا سليمان عليه السلام . وإن لم يذكر اسمه فالعبرة ليست فى الاسم إنما فى مغزى القصة - قالت عائشة رضى الله عنها قال النبى عليه الصلاة والسلام : إن اسم الله الأعظم الذى دعا به آصف بن برخياء هو - يا حى يا قيوم - وهل هذا الاسم - ياحى يا قيوم - كان غائباً عن جميع أتباع سليمان عليه السلام ولكن لابد من البحث عن خلفيات هذا الرجل كما بحث عبدالله بن عمر رضى الله عنهما عن خلفية الرجل الذى قال عنه صلى الله عليه وسلم : قال : «كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقال : يخرج عليكم الآن رجل من أهل الجنة » فخرج رجل فسلم ومشى يسعى إلى عمله ، وفى اليوم التالى كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يخرج عليكم الآن رجل من أهل

الجنة فكان هو رجل الأمس ، وفى اليوم الثالث كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يخرج سيتم الآن رجل من أهل الجنة فكان نفس الرجل فخرج عبد الله بن عمر خلفه حتى عرف بيته وقال : يا أخى إنى تلاحيت مع أبى وأقسمت ألا أبيت ثلاثا فهل تضيفنى ؟ فقال الرجل : نعم فيقول عبد الله بن عمر تعشينا ثم صلينا ثم نمنا وبقيت يقظا لأعرف ما تعبد به هذا الرجل فلم أرى منه شيئا إلا أنه إذا اعتدل إلى جنبه الآخر ذكر الله ثم نام حتى الصباح فقمنا وصلينا الصبح وذهب كلانا إلى عمله وفى الليلة الثانية كان مثل الأولى .
وكذلك الليلة الثالثة فلم ير منه أى عبادة فى الليل لاتهجد - ولا قراءة قرآن - ولاصلاة - فتعجبت من ذلك الرجل الذى أخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه من أهل الجنة فقال عبدالله للرجل والله يا أخى ما تلاحيت أنا وأبى ، وإنما كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم - وقص عليه القصة فأحببت أن أعرف عبادتك التى أوصلتك إلى هذه الدرجة فلم أر منك أى عبادة طوال الليالى الثلاث فقال الرجل والله يا ابن أخى هذا ما رأيت إلا أنى أصبح ، وأمسى وليس فى قلبى بغض لأحد من المسلمين . فقال عبد الله بن عمر رضى الله عنه : هو ذاك الذى أوصلك إلى هذه الدرجة . فالذى قال لسيدنا سليمان عليه السلام أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك لابد أن تكون له خلفية أتاحت له هذا العمل : نعم هو من أتباع سليمان عليه السلام ومن حواريه ، وإنه رجل صالح من أولياء الله الذين يعملون لمرضاة الله سبحانه وتعالى .
فنجد فى الحديث القدسى حديث - من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب - أخرجه البخارى فى باب التواضع عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - إن الله عز وجل - قال - من عادى لى وليا - فقد آذنته بالحرب - وما تقرب إلى عبدى بشيئ أحب إلى مما افترضته عليه - وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته - كنت سمعه الذى يسمع به - وبصره الذى يبصر به - ويده التى يبطش بها - ورجله التى يمشى بها (ولابد لهذا الرجل من أنه كان يقوم بهذه الفرائض ويتبعها بالنوافل حتى أحبه الله) وكمالة الحديث - ولئن سألنى لأعطينه - وقد سأل الرجل الصالح ربه بإتيان العرش فأعطاه إياه والله على كل شئ قدير - قدير لايخيب أولياءه - وكمالة الحديث - ولئن استعاذ بى لأعيذنه - وما ترددت عن شيئ أنا فاعله ترددى عن نفس عبدى المؤمن - يكره الموت (بسبب أنه سينقطع به عن العمل الصالح) - وأنا أكره مساءته . .
﴿ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ وأنا اكره مساءته . .وقد كان كما قال ، وأحضر العرش كرامة لهذا الرجل الصالح والكرامة بنت المعجزة فالمعجزة للنبى والكرامة للولى ، كرامة هدت أمه إلى الإسلام .

وكذلك عندما نادى الخليفة عمر بن الخطاب وهو على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة وقال يا سارية الجبل ثلاث مرات وسارية قائد جيش المسلمين بالشام وكان جيش الكفار خلف الجبل ينتظر سدول الظلام ليميلوا على جيش المسلمين على حين غرة فيبيدوهم عن بكرة أبيهم فسمع سارية رضى الله عنه نداء عمر وصعد إلى الجبل ومعه الجيش فأخذوا جيش الكفر على غرة فأبادوهم جميعاً - فهى كرامة لعمر إذ يصل صوته إلى الشام وهو فى المدينة وكذلك كرامة لسارية الذى سمع نداء عمر رضى الله عنهم كرامة للاثنين انقذت جيش المسلمين من هلاك محتوم فلعل الذى يدعون الولاية وينتحلون الكرامات لعلهم يعقلون .

ولعل الذين يقولون إن فلانا الولى يصلى الأوقات الخمس فى المسجد الحرام وهو في بلده لم ينتقل منها وبينه وبين الكعبة مئات الاميال .. والذين يقولون إن الولى سلم على النبى عليه الصلاة والسلام ، فاخرج الرسول يده من القبر وسلم عليه .. والذين يقولون إن فلانا الولى أتى بأسرى المسلمين من بلاد أوربا بسلاسلهم وهو جالس فى طنطا مدينة فى مصر والذين يقولون إن فلانا الولى يعرف ما يجول بخاطر مريده قبل أن ينطق المريد . فلعل هولاء وغيرهم يعودون إلى رشدهم ويكفون عن جهالاتهم ويحفظون للمسلمين عقائدهم فقد جعلوا الكرامات كلعب الأطفال فضلوا وأضلوا .

﴿ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ وأنا اكره مساءته ..فلما رآى عرش ملكة سبأ أمامه قال هذا العمل من فضل ربى ، الله سبحانه وتعالى كثير الأفضال على عباده ، يبلونى بهذا العمل العظيم أى ليختبرنى أأشكر أم أكفر . ومن شكر فإنما يشكر لنفسه فليس الله محتاجا إلى شكر العبد لأن شكر العبد لربه عائد عليه ، والشكر قيد النعمة الموجودة وبه تنال النعمة المفقودة ، ومن كفر فإن ربى غنى عن شكر عباده كريم بالتفضيل على عباده : ﴿ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ فقد طلب سيدنا سليمان عليه السلام أن يغيروا ملامحة بتغيير نوافذه وأبوابه الخارجية بان يجعل مكان النافذة بابا ومكان الباب نافذة ويطلى بألوان غير الأولوان التى كانت عليه ليختبر ذكاءها وما هى عليه من نضج عقلى .

• الملكة بين يدى سليمان

﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ ﴾ أى ملكة سبأ ووفدها ﴿ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ﴾ فنظرت إليه مليا وتجاذبتها الأفكار فعرشها تركته فى اليمن ، فكيف يقتلع من أساسه ويؤتى به إلى هنا فى فلسطين - وحد الله حكام العرب تحريرها من أيدى أعداء الله - فى ملك

سليمان ولكن يقينها غلب ترددها ﴿ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾ لاتنفى ولاتثبت ، ولكن العرش عرشها مع التغيير والتبديل : ﴿ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾ بأنها ستأتى طائعة مسلمة بعد أن رأت ما رأت من معجزات وبراهين لم تر مثلها من قبل ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ وهنا لابد أن يكون سليمان عرض عليها وقومها الإسلام فأسلمت وأسلم قومها ورجعت عما كانت تعبد من دون الله إنها كانت فى الماضى من قوم كافرين .

وأعد لها سليمان عليه السلام مفاجأة أخرى غير مفاجأة العرش ، وهى مفاجأة الصرح ﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ﴾ والصرح عبارة عن ممر يوصل إلى قاعة الاجتماعات التي يجتمع فيها سليمان عليه السلام وحاشيته من الجن والإنس والطير ﴿ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ﴾ فلما أرادت المرور ظنته لجة أى ماء فرفعت ثيابها لكى لاتبتل فهذه امرأة لادين لها ولا تعرف شريعة ولاسنة فهى تسجد للشمس ، ومع ذلك فهى متمسكة ببعض الفضائل والآداب الكريمة ، ومن هذه الآداب ثيابها الطويلة فرفعتها حين ظنت الصرح ماء ، فهى فى ذلك أفضل بكثير من نساء المسلمين فى عصرنا الحاضر اللاتى يلبسن الثياب الضيقة الرقيقة التى تصف أعضاءهن وتشف عما تحتها ولاتستقل إحداهن أى مواصلة إلا بشق الأنفس من ضيق ملابسها ومع ذلك يدعين الإسلام ولايسمعن قول الله سبحانه وتعالى « يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما » ﴿ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ﴾ أى مموج من زجاج تحته ماء ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ وأمام هذه البراهين والمعجزات نادت وقالت ، رب إنى ظلمت نفسى بعبادة غيرك وأسلمت مع سليمان لالسليمان ولكن لله رب العالمين ، وقد كان كبراء قريش ينفرون من دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام إياهم إلى الإسلام وفى نفوسهم الكبر والعظمة . كيف ينقادون إلى محمد بن عبدالله فتكون له الرياسة عليهم ، فهذه امرأة فى التاريخ الماضى تعلمهم أن الإسلام لله يسوى بين الداعى والمدعوين ، لأنهم سيسلمون مع رسول الله لله رب العالمين .

* * *

● مع مشهد ملك سليمان وأبعاده

فى سورة سبأ من الآية ١٢ إلى الآية ١٤ يقول سبحانه وتعالى ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾ قلنا فى أول القصة لاتوجد قصة من قصص الأنبياء بها من الخرافات والأباطيل والأوهام مثل ما فى قصة سليمان عليه السلام ، وقصة تسخير الريح لسليمان ، أطال بعض المفسرين فيها بكلام لايدل لا على

عقل ولانقل ، ومن أراد الاطلاع على هذه الخرافات فأمامه كثير من كتب التفسير ، فملك سليمان عليه السلام لايتعدى أرض الشام وهى الآن بعد التقسيم ـ فلسطين ولذلك تدعى إسرائيل الآن أن ملكها من النيل إلي الفرات بالعراق ،وكان هذا ملك سليمان النبى المسلم المؤمن وليس ملك الكفرة الظالمين الذين يدعون أنهم أبناء سليمان من بني إسرائيل ولكنه برئ منهم .

وسخرنا لسليمان الريح ولاغرابة في ذلك فهى معجزة لنبى من أنبيائه فالله قادر على كل شئ غدوها شهر أى ذهابها إلى المكان الذى يحدده لها سليمان عليه السلام للمصلحة العامة كنزول مطر على أماكن من مملكته يحتاج أهلها إلى الماء ، يسقى زراعتهم ومواشيهم . ورواحها شهر أى رجوعها فى شهر .

ففى سورة الأنبياء قوله تعالى : ﴿ **ولسليمان الريح عاصفة** ﴾وفى سورة ص ﴿ **فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب** ﴾ فتارة تكون عاصفة مزمجرة لسرعة سيرها وتارة تكون رخاء هادئة ـ عاصفة مزمجرة برعدها حاملة الماء ، وتارة تكون رخاء هادئة لتبعث النسيم ليلطف حرارة الجو في الأماكن الحارة ، وكل ذلك بأمر الله كلف به سليمان عليه السلام : ﴿ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ﴾ والقطر هو النحاس المذاب ليعمل منه ما يشاء ، وكما ألان الحديد لأبيه داود معجزات بعضها خلف بعض وذلك من فضل الله فهى عين تنبع ويسيل منها النحاس لتصنع منه الجان التماثيل والتماثيل كانت غير محرمه فى عهد سليمان وغير ذلك ما يحتاجه سليمان عليه السلام .

***

• سليمان وتسخيره للجن

﴿ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾ أى طائفة من الجن تعمل تحت إمرة سليمان وذلك بإذن الله أى يأمره ﴿ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾أى ومن تراخى عن أمرنا لطاعة سليمان نعذبه عذابا شديداً في الدنيا والآخرة ، والجان كالإنس معرضون من الله سوءا بالنعمة أو النقمة ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ﴾ المحاريب جمع محراب وهو للمساجد وتماثيل سواء من حيوانات أو إنسان . وكان ذلك مباحاً فى شريعتهم فحرمها الإسلام وكانت الحكمة فى تحريمها لأنه صلى الله عليه وسلم بعث والصور والتماثيل تعبد من دون الله فكان لزاما تحريمها ، أما الصور الشمسيةالتى ليست لها ظل ولامجسمة فلا حرج فيها فهى مطلوبة للضرورة مع تطور الحياة ولأنه ليس منها ، وقد استثنى من هذه التماثيل مثل لعب الأطفال من الحلاوة والعجين والطين وهوشيئ لابقاء له .

وجفان كالجواب جمع جابية وهى حفرة كبيرة مثل الحوض الكبير يجمع فيه

الشيئ مثل الطعام وغيره ، وقدور راسيات أى قدور عظيمة للطبخ مثبته ، وكل هذه الأعمال تقوم بها الجن مسخرة لسليمان عليه السلام بأمر ربهم ، وكلها معجزات وأمور خارقة ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ والشكر هو الاعتراف بالنعمة للمنعم واستعمالها فى طاعته والكفران هو استعمالها فى المعصية ، وقليل من يفعل ذلك لأن أهل الخير أقل من أهل الشر ، وأهل الطاعة أقل من أهل المعصية . . وفى صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تشققت قدماه الشريفتين ، فقالت له عائشة رضى الله عنها : « أتصنع هذا وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر » فقال صلى الله عليه وسلم : أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ فالشكر بالأقوال عمل اللسان والشكر بالأفعال عمل الأركان ، وقد سمع عمر رضى الله عنه رجلا يقول - اللهم اجعلنى من القليل - فقال له عمر : ما هذا الدعاء - قال الرجل - أردت قوله تعالى - وقليل من عبادى الشكور - فقال عمر رضى الله عنه - كل الناس أعلم منك يا عمر .

● مشهد الجان لايعلمون الغيب

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ أى حكمنا على سليمان بالموت وكان قد انتهى أجله ، وهو واقف يعبد الله ، وكان متكئا على عصاه وكانت الجن تعمل بكل نشاط وهمة ولاتعلم بموت سليمان ، حتى جاءت القرضة فأكلت العصا من جوفها فعند ذلك ضعفت العصا فوقع سليمان خر على الأرض وهذه القرضة حشرة طعامها الخشب وكانت الجن توحى للإنس بأنهم يعلمون الغيب ، فلما مات سليمان عليه السلام وهم يقومون بأعمالهم الشاقة التى أمروا بها من سليمان عليه السلام ، ظهرت الحقيقة بأن الجن لايعلمون الغيب .

أيـــــوب

عليــــه الســــــلام

• محنة أيوب عليه السلام

يقول الله سبحانه تعالى فى سورة ص الآية من ٤١ إلى ٤٣ ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ * ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ الخطاب موجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتأسى بما سبقه من الأنبياء فى صبرهم واحتمال ما يصيبهم من قومهم من رفض الدعوة المرسل بها من الله وصدهم عنها وهذا أيوب عليه السلام دعا قومه إلى عبادة الله وأن يمتثلوا لشريعة الرحمن ليحيوا حياة كريمة فى الدنيا والآخرة فرفضوا دعوته وتصدوا لمن يريد أن يؤمن من قومهم ، حتى أهله لم يؤمن منهم أحد إلا زوجته التى كانت تقوم بخدمته ورعايته وبث الدعوة فى محيط النساء . وقد أصابه الحزن والمرارة وضاق صدره من صدودهم له وقد تأثر ظاهره بباطنه فظهرت عليه بعض الأمراض . قال بعض المفسرين وكتاب القصص بأن الله ابتلاه بالبرص والجدرى والجزام وألقوه فى مزبلة خارج البلد .

ونرى أن هذا القول فى حق نبى الله لايجوز فى حقه وحق الأنبياء فهم معصومون من هذه الأمراض المنفرة لأنها تعوقهم عن أداء رسالتهم فى الدعوة إلى الله وهذه كلها إسرائيليات أخذها بعض المفسرين وكتاب القصص من بعض مسلمة أهل الكتاب الذين دخلوا فى الإسلام لينشروا فيه الأباطيل والكذب والافتراء بعد أن عجزوا عن مواجهته فى الظاهر .

ونرى إنما يبتلى الأنبياء بأمراض لاتمنعهم من قيامهم بالوعظ والإرشاد وتبليغ رسالة الله مثل احمرار العينين وحكة فى الجلد أو بعض ظهور دماميل بسيطة ، وهذه الأشياء لاتمنعهم من قيامهم بالدعوة بين الناس ، وكانت عائشة رضى الله عنها تقول : لقد تعلمت الطب من كثرة تمريضى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ إذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب ﴾ والشيطان ليس له سلطان على الأنبياء لقوله تعالى في سورة الإسراء الآية ٦٥ ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً ﴾ إذن يكون معنى مسنى الشيطان من العنت والعذاب الذى أصابنى داخلياً وخارجياً من وسوسة الشيطان لقومى حتى صدهم عن دعوة الإسلام ويظهر أن سيدنا أيوب قد شعر بأن صدود قومه وامتناعهم عن

الإيمان برسالته كانت من وراء وسوسة الشيطان لهم وصدهم عن دعوته فكان ذلك سبب إيلامه وحزنه فهو يستغيث بالله أن يدفع عنه البلاء . وقال له الله سبحانه وتعالى : ﴿ **اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب** ﴾ وهنا تظهر الحقيقة بأنه أصيب بمرض داخلي بسبب كفر قومه ، وأصيب بمرض خارجي ولكن لاينفر : اركض برجلك أى اضرب الأرض برجلك تنبع ماء وهذا الماء ليغتسل به فيذهب ما به من أمراض ظاهرة وشراب ليذهب ما به من ألم في باطنه .

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ وبعد نجاحه في الامتحان إذ استمر على دعوته لقومه برغم ما به من ألم باطني وألم ظاهرى ، جاءته البشرى فهدى الله أهله وقومه وآمنوا به وتلك ذكرى لمن يقوم بالدعوة إلى الله بأن يصبر ويكابد المشقات والأجر على قدر المشقة ولابد في النهاية من نصر الله .

﴿ **وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولاتحنث إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب** ﴾

قيل إنه أرسل امرأته في قضاء حاجة فتأخرت عليه فحلف ليضربنها مائة ضربة فلما جاءه الفرج وذهب عنه كربه بإيمان أهله وقومه أراد أن ينفذ يمينه ويضرب امرأته ، ولكن رحمة بهذه الزوجة البارة الكريمة التي وقفت إلى جواره في السراء والضراء فقد أفتاه الله تعالى بأن يأخذ حزمه من أعواد القمح أو الشعير أو الريحان بها مائه عود وأن يضرب بها زوجته ضربة واحدة لتنفيذ يمينه لكي لايحنث وهذا التخفيف رحمة من الله بسبب صبره ودوامه على الدعوة بمساعدة زوجتة برغم ما أصابه من ألم داخلي وخارجي . وفي سورة الأنبياء مثل ذلك .

ويقول فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوى : وربما تكون هذه الأمراض المنفرة قبل الرسالة ، وذلك في كتابه قصص الأنبياء الجزء التاسع ونحن نقول : إن الأنبياء منزهون عن مثل هذه الأمراض سواء قبل الرسالة أو بعدها .

يـونـــس

عليــه الســـلام

• يونس عليه السلام

أ) في سورة الأنبياء « ٨٧ : ٨٨ » ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ذو النون هو يونس عليه السلام أرسله الله إلى قومه ليدعوهم إلى عبادة الله وتوحيده وإقامه شريعته ، فنابذوه العداء وكفروا بدعوته فلما ضاق صدره ونفد صبره تركهم وذهب مغاضبا قومه بدون إذن من ربه ، وظن أن لن يقدر عليه أى ظن أن لن تُضَيِّقْ عليه ونسب له الأسباب التى تجعله يثوب ويرجع إلى قومه ، فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين .

ظلمات أى ظلمة الليل وظلم البحر وظلمة بطن الحوت : لا إله إلا أنت سبحانك ما أعظمك وما أقدرك إنى كنت من الظالمين بترك قومى بدون أمرك فاستجبنا له بعد اعترافه بذنبه ونجينا ه من الغم الذى كان فيه فى بطن الحوت وكذلك ننجى المؤمنين .

ب) وفي سورة الصافات الآية « ١٣٩ : ١٤٨ » قال تعالى ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ « أى من الأنبياء الذين أرسلهم الله إلى قومهم لهدايتهم ﴿ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾ أى هرب من قومه مثل عبد أبق من سيده وركب فى السفينة المشحونة بركابها وأمتعتهم ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ وعند سير السفينة فى عرض البحر هبت العواصف وأوشكت السفينة على الغرق ، وطلب صاحب السفينة بأن يقترع الركاب على من تضع عليهم القرعة ليلقوا بأنفسهم إلى البحر حتى يخف ثقل السفينة فيغرق القليل لينجو الكثير ، فكان ممن وقعت عليه القرعة يونس فكان من المغرقين .

• يونس في بطن الحوت

﴿ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ من المغرقين .فالله سبحانه وتعالى لم يقل فالتقمه حوت لأن حيتان البحر كثيرة ، ولكن قال فالتقمة الحوت أى المكلف من الله سبحانه وتعالى بالقبض عليه ، ووضعه فى السجن أى بطن الحوت إلى أن يأتيه الإفراج وهو مليم ، أى ملوم فى تصرفه بدون إذن من ربه لأن النبى لايهجر قومه إلا بإذن من الله وجاءه الإفراج من رب العباد .

وكانت حيثيات حكم الإفراج أنه كان من المسبحين فَكَثْرة التسبيح تنجى صاحبها من الهلاك : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ دائم التسبيح لله ﴿ لَلَبِثَ فِي

بطْنه إلىٰ يَوْم يُبْعَثُونَ ﴾ فباعترافه بذنبه ثم توبته إلى الله بأنه مخطئ .وجاء تسبيحه وذكره لله شافعاً له من أن يلبث فى بطن الحوت إلى يوم يبعثون أى يوم القيامة .

﴿ فنبذْناهُ بالْعراء وهُو سقيمٌ ﴾ أمرنا الحوت بإلقائه على الشاطئ وهو مريض بسبب ماعاناه وكلمة (فالتقمه) الحوت أى ابتلعه ولم يمضغه ، كان فى حماية الله :﴿ وأنْبتْنا عليْه شجرةً من يقْطين ﴾ وشجرة اليقطين هى شجرة القرع أمرها الله أن تنبت عليه هذه الشجرة وأمر الله نافذ ، وثبت أن شجرة القرع لايقترب منها الذباب لخشونة أوراقها وسيقانها وأغصانها ، حتى يتم شفاؤه ، والله قادر على أن يشفيه وفى الحال بظلمه وبسقيه ولكن لابد أن تأخذ الأسباب مجراها .

﴿ وأرْسلْناهُ إلىٰ مائة ألْف أوْ يزيدُون ﴾ أى بعد شفائه أرسلناه إلى مائة ألف « أو يزيدون » فالله أعلم بمراده فى قوله أو يزيدون أى إلى قومه ﴿ فآمنوا فمتَّعْناهُمْ إلىٰ حين ﴾ أى هداهم الله وآمنوا بنبيهم يونس عليه السلام عندما حضر إليهم وقد علموا من ركاب السفينة الذين نجوا أنه ألقي فى البحر وأكله الحوت ، لأنهم رأوا الحوت عند التقامه له ثم عاد بعد ذلك سالماً يدعوهم إلى عبادة الله وحده ، ويبين لهم ما يريده الله وما لا يريده ودلهم على ما ينفعهم فى دنياهم وأخراهم . .

زكريا ويحيى وعيسى

عليهم السلام

آراء المفسرين فى الآية « ٥٥ » آل عمران فى قوله تعالى ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾

أ) تفسير مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازى

معنى إنى متوفيك أى متم عمرك فحينئذ أتوفاك فلا أتركهم حتى يقتلوك بل أنا رافعك إلى سمائى ومقربك بملائكتى وأصونك من أن يتمكنوا من قتلك ـ متوفيك عن شهواتك وحظوظ نفسك ثم رافعك إلى ـ وأيضاً فعيسى لما رفع إلى السماء صار حاله كحال الملائكة فى زوال الشهوة والغضب والأخلاق الذميمة وأنه عليه السلام رفع بتمامه إلى السماء بروحه وجسده » .

ما رأيك أيها القارئ الكريم فى هذه الأقوال التى لاتعتمد على نقل ولاعقل

هل سيدنا عيسى عليه السلام كانت عنده أخلاق ذميمة ؟

ب) رأى الألوس :

« يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلى ـ على ثمانية أوجه :

١ ـ المعنى رافعك إلى ومتوفيك وأن الكلام فيه تقديم وتأخير .

٢ ـ المراد أنى متوفى أجلك ومميتك حتف أنفك لا أسلط عليك من يقتلك فالكلام عن عصمته من الأعداء ، وما هم بصدده من الفتك به لأنه يلزم من استيفاء الله أجله موته حتف أنفه .

٣ ـ المراد قابضك ومستوفى شخصك من الأرض ، من توفى المال بمعنى استوفاه وقبضه .

٤ ـ المراد بالوفاة النوم يطلق كل منهما على الآخر وقد روى عن الربيع أن الله رفع عيسى عليه السلام وهو نائم رفقاً به .

٥ ـ أجعلك كالمتوفى لأنه بالرفع أشبه .

٦ـ المراد آخذك وافيا بروحك وبدنك فيكون ورافعك إلى كالمفسر لما قبله .

٧ ـ المراد بالوفاة موت القوى الشهوانية العائقة عن اتصاله بالملكوت .

٨ ـ أن المراد مستقبل عملك لايخلو أكثر هذه الأوجه من بعد ولاسيما الأخير .

وهناك وجه تاسع ـ أخرج ابن جرير عن وهب أنه قال توفى الله عيسى بن مريم ثلاث ساعات من النهار حتى رفعه إليه .

وفى رواية للحاكم عنه أنه توفاه سبع ساعات ثم أحياه ،والذى أختاره أن عيسى عليه السلام أنجاه الله من اليهود فلم يقبضوا عليه ، ولم يقتل ولم يصلب وأن الوجه الثانى وهو أن المراد من الآية إنى مستوف أجلك ومميتك حتف أنفك لا أسلط عليك من يقتلك » انتهى .

ماذا تختار أيها القارئ الكريم من هذه الآراء التى لاتسمن ولاتغنى من جوع ؟

جـ) رأى القرطبى :

« إنى رافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد أن تنزل من السماء ـ معنى متوفيك : قابضك ورافعك إلى السماء من غير موت ـ معنى متوفيك مميتك وهى وفاة نوم ـ اجتمع الحواريون فى غرفة وهم اثنا عشر رجلا فدخل عليهم المسيح من مشكاة الغرفة فأخبر أبليس جميع اليهود فركب منهم أربعة آلاف رجل فأخذوا باب الغرفة فقال المسيح للحواريين أيكم يخرج ويقتل ويكون معى فى الجنة ؟ فقال رجل أنا يا نبى الله فألقى إليه مدرعة من صوف وعمامة من صوف وناوله عكازه وألقى عليه شبه سيدنا عيسى فخرج على اليهود فقتلوه وصلبوه وأما المسيح فكساه الله الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب فطار مع الملائكة » .

أخى القارئ الكريم : هل هذا كلام ترتاح له النفس وتبنى عليه عقيدة سليمة ؟ انظر معى ـ رافعك ومتوفيك بعد أن تنزل من السماء ـ وكساه الله الريش ـ وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب فطار مع الملائكة .

فأين الدليل على ذلك من كتاب أو سنة ؟ إنما هى إسرائيليات ومسيحيات وأوهام وأباطيل وخرافات ، ما أنزل الله بها من سلطان ،إنما تناقلها المفسرون بعضهم عن بعض بدون تمحيص ولانظر ولا روية » .

ء) رأى ابن كثير:

« اختلف المفسرون فى قوله تعالى « إنى متوفيك ورافعك إلى فقال قتاده وغيره هذا من المقدم والمؤخر تقديره إنى رافعك إلى ومتوفيك يعنى بعد ذلك . وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس : إنى متوفيك أى مميتك وقال محمد بن

إسحاق عمن لايتهم عن وهبة بن منبه قال : توفاه الله ثلاث ساعات من أول النهار حين رفعه إليه . قال ابن إسحاق : والنصارى يزعمون أن الله توفاه سبع ساعات ثم أحياه قال ابن إسحاق بن بشير عن إدريس عن وهب : أماته الله ثلاثة أيام ثم بعثه رفعه ، قال الوراق : إني متوفيك من الدنيا وليس بوفاة موت ، وكذا قال ابن جرير ، متوفيه هو رفعه وقال الأكثرون المراد بالوفاة هنا النوم كما قال تعالى « وهو الذى يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت في منامها » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا قام من النوم : الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن عبدالرحمن ، حدثنا عبدالله بن أبي جعفر عن أبيه ، حدثنا الربيع بن أنس عن الحسن أنه قال في قوله تعالى : إني متوفيك يعني أوقات المنام رفعه الله في منامه » انتهى

أخي القارئ هل فهمت شيئا من هذا الكلام المبهم ؟

هـ) رأى المنار للشيخ / محمد رشيد رضا :

إن التوفى على معناه الظاهر المتبادر وهو الإماتة العادية ، وأن الرفع يكون بعده وهو رفع الروح ، أما حديث الرفع والنزول فى آخر الزمان ـ فرأيان أحدهما أنه آحاد متعلق بأمر اعتقادى لأنه من أمور الغيب والأمور الاعتقادية لايؤخذ فيها إلا بالقطعى لأنه المطلوب فيها اليقين وليس في الباب حديث متواتر .

ثانياً : تأويل نزوله وحكمه فى الأرض بغلبة روحه وسر رسالته على الناس ، وما غلب فى تعليمه من الأمر بالرحمة والمحبة والسلم والأخذ بمقاصد الشريعة دون الوقوف عند ظواهرها والتمسك بقشورها دون لبابها وهو حكمتها وما شرعت له . . » انتهى .

ونقول كلام الشيخ فى الأول كلام واضح لاشك فيه ، وكلامه فى الثانى كلام مبهم وغير مفهوم وإني أشك فى أن يكون من كلام الشيخ فهو مدخول عليه وغير مناسب للكلام الأول واضح كالشمس ويتماشى مع العقل والنقل أما الرأى الثانى فالليل المظلم . ولا يتماشى مع العقل ولا النقل ومن يتدبر الرأى الأول والثانى يجد الفرق شاسعاً بين الصواب والخطأ .

و) رأى الشهيد سيد قطب :

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ فأما كيف كانت وفاته وكيف

كان رفعه فهي أمور غيبيه تدخل في المتشابهات التي لايعلم تأويلها إلا الله » .
ونقول وإني لأتعجب من قول الشهيد سيد قطب : إن قوله تعالى يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي من المتشابهات ومع ذلك فهو يفسر قوله تعالى - ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة :
فليست هذه الآية : إني متوفيك ورافعك إلي من المتشابهات أما المتشابهات فمثل قوله تعالى « الرحمن على العرش استوى »ثم استوى إلى السماء وهي دخان » . .ولتصنع على عيني - بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ، ومثل الصراط والميزان - وكذلك - وسع كرسيه السموات والأرض » .
فهذه الآيات ومثلها في القرآن كثير هي من المتشابهات التي لايستطيع العقل الخوض فيها

• حديث الإمام البخاري في صحيحه :

حدثنا إسحاق أخبرنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا أبي عن صالح عن ابن شهاب أن سعيد بن المسيب سمع ابا هريرة رضي الله عنه قال - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويقبض المال حتى لايقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها .

حديث الإمام مسلم في صحيحه وفيه :

فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفية على أجنحة ملكين ، إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان - حبات - كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حديث ينتهي طرفه حتى يدركه بباب لد فيقتله .

• الرد على الحديثين :

١ - فحديث البخاري ليس فيه أن عيسى سيقتل المسيخ الدجال .

٢ - وحديث مسلم ليس فيه أن عيسى يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية أي يلغيها .

فالحديثان مختلفان فهما من أحاديث الآحاد وغير متواترين* .

وهذه الأحاديث لا تبلغ أن تكون لها قوة صريح القرآن الذي لا يأتيه الباطل

* نقول للمؤلف إن الحديث الأحاد إذا ورد بطرق صحيحه يلزم قبوله والعمل به ومعظم أحاديث السنة من الآحاد وهو أنواع فانظر (هـ) .

من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

• مناظرة بين مسلم ومسيحى :

حصلت هذه المناظرة عام ١٩٨٦ بالجماهير الليبية - ففى أمسية من الأمسيات تطرق الحديث بين مسلم يحمل شهادة ثانوية أزهرية وبين أحد المسيحيين فى موضوع المسيح عليه السلام فقال المسلم : إن المسيح هو عبد الله ورسوله رفعه الله حيا إلى السماء وسينزل آخر الزمان يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويحارب مع المسلمين فى قتال الكفار النصارى واليهود ويقتل المسيخ الدجال .

فرد المسيحى : إن المسيح رفع حيا إلى السماء وجلس بجانب أبيه الرب وسينزل آخر الزمان ليقتل المسلمين الكفار ويحارب بجانب المسيحيين .

وقد اتفق الاثنان على أن المسيح رفع حيا وسينزل آخر الزمان .

فقال المسيحى بمكر ودهاء - أليس فى هذا مما يدل على أن المسيح حى فى السماء ومحمد نبيكم ميت ومدفون فى قاع الأرض ؟

وأن المسيح قادر على النزول إلى الأرض فى آخر الزمان ومحمد نبيكم ضعيف لا يستطيع الخروج من قبره ، وإلى هنا توقف المسلم فلم يستطع الرد لأنه اعترف بأن المسيح رفع حيا إلى السماء وسينزل آخر الزمان .

وتحسرت على الأزهر وتعاليمه فى هذا العصر المشئوم ومن هؤلاء العلماء ذوى البحوث السطحية يتخذ منهم بعض الملوك والحكام وزراء ونوابا ووكلاء وزارات ليكونوا طوع أمرهم ، وإن كانت لهم شهرة أمام العامة فيحلون لهم ما حرم الله ويحرمون ما أحل الله ويستغلونهم فى إصدار الفتاوى لصالحهم وليست فتوى الصلح مع اليهود من خلف أظهر العرب والمسلمين عنا ببعيد .

وكذلك عندما نطق وزير أوقاف سابق وقال - لو كان الأمر بيدى لرفعت الذى جاء بمعاهدة السلام إلى مكان لا يسأل عما يفعل .

وقد رد عليه الشيخ عاشور عضو مجلس الشعب المصرى ممثل أبناء الإسكندرية بقوله : لا يوجد أحد لا يسأل عما يفعل إلا الله وكل إنسان مسئول عن فعله .

وتم رفع الحصانة عنه وطرده من مجلس الشعب .

● **تعقيب فضيلة الشيخ / عسكر خليل عبد العال :**

« أرى أن المؤلف قد تحامل فى رده على الشاب الأزهرى لأن طلاب الثانوية الأزهرية لا يدرسون الأديان وإنما تدرس الأديان فى الأزهر لطلاب كلية أصول الدين ، وقد أجاد كثير من علماء الأزهر فى الرد على كل ما أورده المستشرقون من الأديان الأخرى ضد الإسلام وهناك الكثير من المؤلفات مثل محاضرات فى النصرانية للشيخ أبى زهرة ، وقذائف الحق للشيخ محمد الغزالى وغيرهما .

وأقول : أنا لم أتحامل على الشاب الأزهرى إنما تحاملى كله على التعليم الأزهرى الذى يجب أن يعطى جرعة قوية لطلاب الثانوى الأزهرى فى العقيدة ومقارنة الأديان ، ويجب أن تبدأ هذه الجرعة من أولى ثانوى أزهرى مثل غيرها من المواد الكثيرة التى يدرسونها لأنهم هم المتواجدون فى المجتمع فى القرى والنجوع والكفور ، ويحملون اسم الأزهر بملابسهم الرسمية فهم معرضون للسؤال فى كثير من المسائل خصوصاً فى العقيدة ومقارنة الأديان لأن المجتمع يعج بمسلمين ونصارى فى جميع القرى والنجوع ويكون هناك تلاح بين المسلمين والنصارى فيلجأ الناس إلى طلاب الأزهر لأنهم أمام الناس هم الوعاء لعلم الدين لكى يفهموا منهم ما يثيره النصارى من مسائل .

● **رأى المؤلف فى قوله تعالى :**

﴿ إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلى ﴾ الشرح والبيان .

أولاً : ذكر الرفع فى القرآن الكريم للعاقل أى المخلوقات العاقلة يكون الرفع معنويا أى رفع درجات لا رفع أجساد لأن الأجساد مكانها الأرض .

وإليكم بعض آيات الرفع للإنسان فى القرآن الكريم :

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾

البقرة : ٢٥٢

﴿ تِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾

الأنعام : ٨٢

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ الأنعام : ١٦٥

﴿ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾

الأعراف : ١٧٥ - ١٧٦

﴿ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ﴾ يوسف : ٧٦

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٥٦) وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ مريم : ٥٦ : ٥٧

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ النساء : ١٥٨

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ آل عمران : ٥٥

شرح ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾

فكانت الوفاة قبل الرفع كما هو ظاهر من هذه الآية فقد توفى ورفعت روحه إلى السماء كغيره من البشر ، فهل يعقل أن يكون عيسى عليه السلام حى فى السماء روحا وجسداً من ألفى عام ومحمد عليه الصلاة والسلام ميت ومدفون فى الأرض ؟

وهل سيدنا عيسى عليه السلام أعز على الله من محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ؟

فكيف يجوز أن يرفع الله عيسى إلى السماء عندما أرادوا أن يقبضوا عليه ليحاكموه ،ولم يرفع محمد صلى الله عليه وسلم عندما أحاطوا ببيته ليقتلوه ؟ والله تعالى يقول﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ الآية « ٣٠ سورة الزمر »-وليس هناك استثناء ، ويقول تعالى ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾ الآية « ٣٤ سورة الأنبياء » وهو رد استنكارى حاسم لمن يقول : إن عيسى لا زال حيا . ويقول رسول الله عليه الصلاة والسلام - لو كان موسى وعيسى حيين ما وسعهما إلا اتباعى » فدل على أن عيسى عليه السلام ميت كغيره مثل موسى عليه السلام .

أما قوله تعالى ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ الآية « ١٥٩ سورة النساء » -فإن كان إيمان أهل الكتاب بعيسى قبل موته فقد آمن به الكثير من بنى إسرائيل - وإن كان إيمانهم بعد موته فذلك عند خروج الروح سيعلمون أن عيسى عبدالله ورسوله وذلك إيمان لاينفع صاحبه. وأما قوله تعالى ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ الآية « ٦١ سورة الزخرف » - فهى تشير إلى سيدنا عيسى فى الآيات التى قبلها . يقول بعض المفسرين إن نزول عيسى عليه السلام هو علامة على

قيام الساعة - والحقيقة هو أن عيسى أرسله الله نبياً ورسولاً إلى بنى إسرائيل علامة على قرب قيام الساعة .

والرسول عليه الصلاة والسلام يقول - أنا نبى الساعة - أى أن عيسى عليه السلام علامة لظهور نبى الساعة ، أو إشارة إلى قرب ظهور نبى الساعة . وهنا إشارة واضحة من القرآن الكريم على أن عيسى عليه السلام توفى ، ولن يبعث مرة أخرى إلاعند قيام الساعة . ويقول الله سبحانه وتعالى على مشهد من الخلائق كلها يوم القيامة ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾الآية «١١٦ : ١١٧ سورة المائدة» - فقول سيدنا عيسى عليه السلام : فلما توفينى إثبات لقوله تعالى﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ - والرفع للعاقل معروف بأنه رفع درجات لارفع أجساد .

ويقول سيدنا عيسى عن نفسه - والسلام على ويوم ولدت ويوم أمرت ويوم أبعث حياً - الآية «٣٣ من سورة مريم » - بمعنى ولادة ثم موت ثم بعث - فولادته تحققت بمعجزة وموته تحقق بوفاته ثم بعثه يوم القيامة ولاشئ غير ذلك - وقوله تعالى﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ الآية « ٧٠ من سورة النحل » - فهذه الآية تعضد قوله تعالى ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ والرفع للعاقل معروف بأنه رفع معنوى كما سبق ، وكل إنسان يموت ترفع روحه إلى السماء ويقول تعالى ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ الآية « ٣٢ من سورة النحل » فالوفاة معناها العام الموت ويقول البعض إن عيسى عليه السلام رفع إلى السماء روحاً وجسداً والدليل على ذلك حديث المعراج بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى عيسى ابن مريم فى السماء وهذه ليست حجة بل هى شبهة تزول بالتحقيق فإن رسول الله أخبر بأنه رأى يحيى ابن زكريا مع سيدنا عيسى وسيدنا يحيى عليه السلام مات مقتولا ، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك آدم وموسى وهارون وإبراهيم عليهم السلام فلو كانت رؤيته لعيسى دليلا على رفعه حيا إلى السماء لكانت دليلاً أيضاً على رفع هؤلاء إلى

السماء مع أنهم ماتوا ودفنوا فى الأرض ولم يرفعوا أحياء ، ولما كان رفعهم أحياء إلى السماء باطلاً كان رفع عيسى حيا إلى السماء باطلاً أيضاً .

فحديث البخارى وكذلك حديث مسلم رحمهما الله اللذين يعتمدون عليهما فى نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان فيه مخالفة صريحة للقرآن الكريم والسنة المطهرة .

ففى حديث البخارى - ويضع الجزية أى بلغيها بمعنى : إما السلام وإما القتل وهذه مخالفة القرآن والسنة ففى القرآن الكريم - لا إكراه فى الدين - فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر - لست عليهم بمصيطر - إن أنت إلا نذير - وما عليك إلا البلاغ - أأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ، والجزية من شريعة الإسلام .

وفي السنة كان صلى الله عليه وسلم يوصى أصحابه عند خروجهم للجهاد أن يعرضوا الإسلام على أهل البلاد التى يفتحونها - فإن أبوا فعليهم الجزية - فإن أبوا فالقتال لأنهم سيكونون أهل حرب فى دارالإسلام، لأن القاعدة فى الإسلام: لا إكراه فى الدين ولانسخ فى القرآن .

يقول تعالى في الآية ٢٩ من سورة التوبة ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ ولايكونون صاغرين إلا بالقتال والانتصار عليهم ثم إنه لا يعقل أن ينزل عيسى عليه السلام ليقاتل أهل الكفر .فقصة نزول سيدنا عيسى عليه السلام فيها مخالفة للقرآن والسنة فهى تسئ إلى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام . وأعتقد أن قصة رفع المسيح بجسده حيا إلى السماء ونزوله آخر الزمان من الإسرائيليات والمسيحيات التى طفحت بها كتب التفاسير والأحاديث ، ليرفعوا بها مكانة سيدنا عيسى على مكانة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، الله تعالى يخاطب الخلائق كلها بقوله تعالى يوم القيامة ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق . . ، والله أكبر برح الخفاء وظهر الحق ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ أى لا علم لى بهم ﴿ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ شهيد عليهم وعلى غيرهم ، وأما قوله تعالى ﴿ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ فهذه العبارة لاتدل على رفعه إلى السماء نصاً وإنما هى مثل قوله تعالى فى سيدنا لوط ﴿ ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ﴾ إذ ليس معناه

أنى مهاجر إلى السماء وقول سيدنا إبراهيم ﴿ إنى ذاهب إلى ربى ﴾ فليس معناه إنى ذاهب إلى السماء ـ ولكن بعض علمائنا الأفاضل جعلوها معركة تسيل فيها الدماء .

ملحوظة : لايوجد فى الدنيا كلها قبر حقيقى لصاحبه إلا قبر محمد عليه الصلاة والسلام ، وهنا يثور سؤال : من الذى سيقتل المسيخ الدجال ؟ وقصة المسيح الدجال مرتبطة بقصة نزول عيسى من السماء فلما بطلت الأولى وهى نزول عيسى بطلت الثانية من تلقاء نفسها وقد قال الإمام القصطلانى فى الفتح فى شرحه على البخارى بأن أحاديث الدجال مضطربة .

وقد نقل فى تفسير المنار أن الاستاذ الإمام الشيخ / محمد عبده سئل عن المسيخ الدجال وقتل عيسى له . فقال : إن الدجال رمز للخرافات والدجل والقبائح التى تزول بتقرير الشريعة على وجهها ، والأخذ بأسرارها وحكمها وإن القرآن أعظم هاد إلى هذه الحكم والأسرار وسنة الرسول مبينة ذلك فلا حاجة للبشر إلى إصلاح وراء الرجوع إلى ذلك .

فيا أمه محمد حى على الجهاد حى على الكفاح لاتنتظروا مسيخ ولامسيح

(تعليق)

إن رأى المؤلف في نزول المسيح أو عدم نزوله ورفعه وعدم رفعه وحياته فيه نظر كبير .

موافقة لامطارقة

أخى القارئ الكريم : لقد قرأت ماكتبه بعض المفسرين عن المسيح عليه السلام ونحن الآن نعرض رأى النصارى والمسلمين معاً فى موضوع المسيح بكلمات موجزة .

يقول النصارى	إن المسيح قبر ثلاثة أيام أى وفاة منام
يقول المسلمون	إن المسيح توفاه الله ثلاثة أيام أى وفاة منام
يقول النصارى	ثم صعد إلى السماء روحاً وجسداً وجلس بجانب أبيه الرب
يقول المسلمون	ثم رفعه الله إليه بروحه وجسده
يقول النصارى	إن المسيح سينزل آخر الزمان ليجازى المؤمنين ويعاقب الكافرين
يقول المسلمون	إن المسيح سينزل أخر الزمان يقتل المسيخ ويحكم بشريعة الإسلام

تعقيب المؤلف

أخى المسلم : هل هناك خلاف بين ما يعتقده النصارى فى المسيح وبين ما يعتقده

المسلمون كأنما اعتنقنا كلام النصارى بحذافيره وسرنا خلفهم حذو النعل بالنعل فسقطنا فى ما سقطوا هم فيه .
والآن : فهل إلى سبيل من خروج من هذا المأزق ؟

كشف اللثام فى وفاة المنام

أجمع المفسرون على أن قوله تعالى﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ « الآية ٥٥ من سورة آل عمران » ، على أنها وفاة منام وإنى أرى أنها وفاة ممات ، والقرآن هو الفصل . أولا نحن نؤمن بأن هناك وفاة منام لبعض الناس تستغرق بضع دقائق أو بضع ساعات للراحة أو تستمر بضعة أيام أو بضعة أسابيع لمرض وتكون أجسادهم على الأرض ، أو تستمر مائة عام مثل ما حصل لعزير وحماره أو تستمرثلاث مائه سنين وازدادوا تسعا كما حصل لأهل الكهف . وهى كذلك وفاة منام إلا أنها طويلة الأجل ولكن للإعجاز ، وأجسادهم على الأرض فإذا كان عيسى عليه السلام توفاه الله وفاة منام كما يقول هؤلاء المفسرون إذاً لابد أن يكون جسده على الأرض مثل عزير وحماره ، ومثل أهل الكهف إلى أن تنتهى مدة وفاة المنام ثم يعود إلى الحياة ويعيش باقى أجله ثم يتوفاه الله وفاة الممات حينئذ يكون جسده فى باطن الأرض كما حصل لعزير وحماره وكما حصل لأهل الكهف .

يقول تعالى فى « سورة الأنعام الآية ٥٩ »﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ ﴾ أى وفاة منام لراحة أجسادكم من عمل النهار رحمة بكم ، ويعلم ماجرحتم بالنهار أى ما عملتم من خير وشر﴿ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ ﴾ أى فى النهار بعد راحة المنام ليقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم أى بعد وفاة الممات﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾وفي سورة النحل الآية ٧٠ » يقول تعالى ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ وهذه وفاة ممات لاوفاة منام وعيسى عليه السلام من مخلوقات الله ينطبق عليه ما ينطبق على أبناء آدم يتوفاه أى يميته وفي سورة الأعراف الآية ٢٥ يقول تعالى ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ أى الأرض وفيها تموتون أى الأرض ومنها تخرجون أى الأرض وهذا الكلام موجه إلى جميع بنى آدم وفيهم عيسى عليه السلام أم أن عيسى مستثنى من هذا الكلام الإلهى ؟

وفى سورة الزمر الآية ٤٢ »﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ والأنفس جمع نفس وكل نفس لها روح وجسد فوفاتها خروج الروح والجسد وصعودها إلي

السماء ونزول الجسد إلى باطن الأرض ، والتى لم تمت أى الأنفس الباقية على قيد الحياة فى منامها أى يتوفاها الله فى منامها أى الذى هو وفاة النوم أو وفاة المنام كما يسمونه لراحة الأبدان من عناء العمل ، فيمسك التى قضى عليها الموت فقد انقضى أجلها فيمسك الروح ويصبح الجسد بلا روح يغسل ويكفن ويصلى عليه ثم يقبر فى الأرض ويرسل الأخرى إلى جسدها بعد أخذها قسطاً من الراحة إلى أجل مسمى أى إلى أن ينتهى أجلها المحدد لها عند الله ثم يتم قبضها أينما كانت . وفى سورة آل عمران الآية ١٨٥ «﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ وعيسى عليه السلام نفس من الأنفس .

ياقوم : مالنا ومال السماء ، نحن ذرية آدم عليه السلام هنا على الأرض من لدن آدم عليه السلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، أحياء وأمواتاً . وليس هناك استثناء لالعيسى ولالغيره فسيد الأنبياء كان يتوفاه الله فى منامه وعندما انقضى أجله توفاه الله وفاة ممات ، وفى الوفاتين كان صلى الله عليه وسلم فى الأرض .

عندما كتبت هذه المقدمة وقرأها الكثير من الناس ولا أقول عامتهم بل ومثقفيهم عارضوها معارضة شديدة وانتقدونى فيما كتبت ، وكأن الجميع على رأى واحد سواء أكانوا من المثقفين أو العامة ، وهو أن عيسى عليه السلام رفع حيا روحا وجسداً إلى السماء ، وسينزل آخر الزمان ليقتل المسيخ الدجال ويحكم بشريعة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وكأنهم يقولون إنا وجدنا آباءنا وأجدادنا على هذه العقيدة وإنا متمسكون بها ولن نحيد عنها أبداً .

ياقوم : هل أخطأت إذ أثرت هذا الموضوع الذى جعل المسلمين يستكينون إلى الذل والهوان منتظرين نزول نبى من بنى إسرائيل لينقذهم مما هم فيه من خزى وعار وفقر ومرض وجهل ؟

ياقوم : لماذا هذا الهجوم الشرس على رجل وقف بجانب القرآن الكريم الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه ويترك راو يخطئ ويصيب .

ياقوم : هل صبأت إذ كشفت عن عقيدة زائفة عشعشت فى عقول المسلمين آلاف السنين وتستمرمسيطرة على عقولهم آلاف أخرى من السنين إلى يوم القيامة .

ياقوم : لماذا هذا التجريح والتوبيخ لرجل أزال غشاوة عن أعين المسلمين عامتهم وخاصتهم ليروا أنهم عاشوا هذه السنين فى وهم قاتل ؟

يا قوم : هل افتريت على الله كذباً إن استعملت العقل فيما يوافق النقل واستخلصت قضية لمْ يطرقها إلا القليل قضية شلت حركة المسلمين فى الجهاد

والنضال انتظاراً لخرافة باطلة عاشوا عليها وآمنوا بها إيماناً راسخاً ؟

ياقوم : فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد* .

* * *

● وما نزال مع عيسى وأمه :

فى «سورة آل عمران الآية ٣٥ : ٦٠ » ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ ﴾وعمران هذا ليس عمران أبى موسى عليه السلام فبين عمران أبى مريم وعمران أبى موسى مئات السنين :﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ من سلطة أى إنسان إنما يكون عابداً وخادماً فى بيت الله ﴿ فَتَقَبَّلْ مِنِّي ﴾تدعو الله أن يتقبل منها هذا النذر خالصاً لوجهه الكريم﴿ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ السميع لتضرعها عليم بنيتها ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ فامرأة عمران كانت تريده ذكراً ليتحمل أعباء العبادة وخدمة المسجد ولكن الله يريدها أنثى لتلد نبياً يمهد ويبشر الدنيا كلها بقدوم خاتم الأنبياء **﴿ ومبشراً برسول يأتى من بعده اسمه أحمد ﴾** هذه الآية جاءت بالنص فى إنجيل برنابا ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ﴾ .

فى تحمل الصيام بالنهار والتهجد بالليل قانتاً متبتلاً عابداً لله رب العالمين ﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾ أى اختارت لها هذا الاسم ، ثم تلجأ إلى الله بالدعاء ﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ أى بأن يحفظها ويرعاها من كل سوء ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ فرباها ربها على عينه وحفظها من كل ما يؤذيها ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ ويظهر أن أباها عمران توفى قبل ولادتها ، وتدافع الرجال كل يريد أن يفوز بكفالتها ويتشرف برعايتها ،وهنا تحاكموا إلى القرعة فجاءت القرعة على سيدنا زكريا عليه السلام وزكريا هو زوج خالة مريم واسمها الياصابات ، وكانت تقول لبنت أختها مريم : هل تعلمين يا مريم أنى حامل ؟ وتجيبها مريم : وهل تعلمين يا خالتى أنى حامل كذلك . وذلك من العجب فى قدرة الله فامرأة زكريا حملت مع أنها عاقر لاتلد ، ومريم حملت مع

* المؤلف بذل جهدا مشكورا فى هذه المسألة الشائكة ، وأسفت لتنفيده آراء كبار المفسرين بألفاظ لاتليق بمؤلف ناشئ ، وتجاهل فلسفة فقهائنا من المجتهدين التى تقوم على أساس : «كل أنسان يؤخذ من كلامه ويرد عليه إلا صاحب الروضة الشريفة » « رأيى صواب يحتمل الخطأ ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب » إن ما انتهى إليه المؤلف هو الصواب «سبقه إليه الإمام محمد عبده فى تفسير المنا للشيخ رشيد رضا . والشيخ محمود شلتوت فى فتوى له مؤيده من الشيخ المراغى - شيخ الأزهر يومئذ وفى تواضع أقول : أيدت هذا الرأى فى كتابى : الإسلام المصفى « الذى هاجمه بعض علماء السعودية »

وأضيف هنا سؤلا بفرض نفسه : هل ينزل عيسى بصفته نبيا ؟ وهذا مناقض لكتاب الذى أكد أن محمدا خاتم النبين . أم الله إنسانا عاديا ؟ وهنا نقول : كيف ينزل الله رسولا من أولى العزم من الرسل إلى درجة إنسان عادى ؟

أنها بكر لم يمسها بشر ،وهذه إرادته وتلك مشيئته ، فهو قادر على كل شئ،وكان حمل الياصابات زوج زكريا عليه السلام سابقاعلى حمل مريم ، وقد أخبر الله رسوله محمدا عليه الصلاة والسلام بتلك القصة قصة المزاحمة على من يكفل مريم فقال تعالى ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ الكل يريد أن يقوم بكفالتها وذلك ليعلم أهل الكتاب أنه رسول من الله يخبرهم بما فى كتبهم مع أنه لايقرأ ولايكتب ، إنما ذلك بوحى من الله .

﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ ﴾ أى المكان الذى تتعبد فيه ولم يستطع أحد الدخول عليها إلا سيدنا زكريا باعتباره القائم على رعايتها ﴿ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾ أى طعاما وشرابا وتعجب من ذلك لأنه لم يأت بهذا الطعام والشراب الذى هو مغاير لطعام الدنيا وشرابها ﴿ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ﴾ أى من أين لك بهذا الطعام والشراب ﴿ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ لأنها كانت تجد هذا الطعام والشراب فى حجرتها التى تعيش فيها ولاتشعر بمن جاء به ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ أى من حيث لاتحتسب ،ولقد أثرت هذه الكلمة فى نفس زكريا ووقف مبهوراً ﴿ **إن الله يرزق من يشاء بغير حساب** ﴾ ﴿ هُنَالِكَ ﴾ أى فى نفس الوقت الذى رأى فيه هذا الرزق وسمع هذا الكلام ﴿ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ وزكريا قد بلغ من الكبر عتيا وامرأته عاقر لاتلد ولكنه عندما سمع قول مريم ﴿ **إن الله يرزق من يشاء بغير حساب** ﴾ طمع فيما عند الله ، والطمع فيما عند الله واجب مادام الإنسان سائراً فى الطريق الذى رسمه الله له .﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ ﴾ محراب المسجد لا محراب مريم ﴿ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ﴾والذكر دائماً تهفو إليه أفئدة الأبوين ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ هذه أوصاف المولود الذى سيأتى فيما بعد فهو صادق فى كل ما يقول وسيد أى عالى القدر وحصوراً فهو ممنوع من الزواج ونبياً من الصالحين وتلك بشارة لزكريا بأن ابنه سيكون نبياً مرسلاً من الله إلى بنى إسرائيل ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ ﴾ ﴿ يَكُونُ لِي غُلامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ﴾ فهذه الصفات دائماً تكون حائلاً بينها وبين الإنجاب ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ كما أنه يرزق من يشاءبغير حساب ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً ﴾ أى علامة أعرف بها قرب تنفيذ وعدك ﴿ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾ وفى هذه الأيام الثلاثة كن دائماً مداوماً على ذكر

الله بالصلاة والصيام﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ ﴾ أى لاتفتر عن ذكر الله مساءا وصباحا وما بينهما ، ليكن معلوما أن قصة سيدنا زكريا وابنه يحيى عليهما السلام مرتبطة بقصة مريم وابنها عيسى عليهما السلام ولذلك لم نذكر زكريا وابنه يحيى قصة خاصة بهما .

* * *

﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ إن الله اختارك لتكونى آية أى معجزة وطهرك من أى دنس ، لا حيضة أو نفاس ولن تنكشفى على أى رجل ، واصطفاك على نساء العالمين ، أى عالم زمانها لتكون أماً لنبى ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي ﴾ أى أكثرى من العبادة والخضوع لله﴿ وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ أى اشتركي في الصلاة الجامعة مع المصلين في صفوف النســـاء ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ ﴾ وكلمته هى إرادته بأن يكون منها ابن اسمه المسيح فعيسى لم يكن هو الكلمة وهى كن إنما كان وأوجد بكلمة « كن » ﴿ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ فهو ينسب لأمه لأنه ليس له أب ، إنما معجزة والله يخلق ما يشاء .

١ ـ فآدم ليس له أب ولا أم .

٢ ـ وبقية المخلوقات من أب وأم .

٣ ـ وحواء من أب وليس لها أم والأب هو آدم .

٤ ـ وعيسى من أم بلا أب .

وهنا اكتمل نظام الخلق وهو الخلاق العليم ﴿ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾ذا قدر وشرف﴿ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ أى فى سلك الأنبياء والمرسلين ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً ﴾ في المهد وهو حديث الولادة يبرئ أمه مما نسب إليها من الزنى ، وكهلاً أى يكلم الناس ويعظمهم بالإنجيل عند بلوغه سن النبوة ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ ﴾ كيف يكون لي ولد ﴿ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾ أى لم أتزوج ولم يمسسنى بشر﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾ كما أطعمك وسقاك بغير حساب ، وكما قال لزكريا : الله يفعل ما يشاء فهو خالق السنن وإذا شاء خرقها ﴿ إِذَا قَضَىٰ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ أى أن جميع خلقه يوجدون بأمره وأ ن أمره بين الكاف والنون ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ ﴾ أى يقرأ ويكتب ﴿ وَالْحِكْمَةَ ﴾ التى يلقيها على مسامع بنى إسرائيل من الإنجيل ﴿ وَالتَّوْرَاةَ ﴾ أى يعلمه أحكام التوراة وشريعتها التى أنزلت على موسى من قبله ، لأن فيها التشريع ، أما

الإنجيل ففيه المواعظ الى يعظ بها بنى إسرائيل يحذرهم من الظلم والربا والكذب وقول الزور والخيانه والنفاق والغدر الذى جبلوا عليه ﴿ ورسولاً إلىٰ بني إسرائيل ﴾ فقط . لا إلى غيرهم من الأمم ﴿ أني قد جئتكم بآية من ربكم ﴾ فالآية هنا وجوده بمعجزة ﴿ أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ﴾ فهذه الآيات أى المعجزات التى أيد بها نبيه عيسى عليه السلام لتكون دالة على نبوته : ﴿ ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم ﴾ فى التوارة أيام عنادكم لموسى ﴿ وجئتكم بآية من ربكم ﴾ أى أنه وجد بأيه أى معجزة من أم بدون أب ﴿ فاتقوا الله وأطيعون ﴾ أى ارجعوا عن ضلالكم واتبعوا ما جئتكم به من ربكم لعلكم تفلحون فى الدنيا والآخرة ،وهذه البشائر والمعجزات التى بشر الله بها مريم بأنها ستكون على يد وليدها عيسى الذى لم يولد بعد ، والله صادق فى وعهده ، ففى هذه السورة سورة آل عمران قدمت قصة مريم على قصة زكريا ، وفى سورة مريم قدمت قصة زكريا على قصة مريم لكى يكون الموضوع متناسقا مع سياق الآيات.. ونبدأ القصة هنا باسم الله سبحانه وتعالى .

• وقصة سيدنا زكريا كما وردت فى سورة مريم

﴿ كهيعص ﴾ هذه الحروف المتقطعة يتحدى الله بها العرب بأن هذا القرآن مكون من تلك الحروف وطالبهم وهم أفصح العرب بأن يأتوا بمثل هذا القرآن أى يؤلفوا قرآنا مثل هذا القرآن . .اذكر يامحمد على مسامع بنى إسرائيل ذكر نبيهم زكريا الذى قتلوا ابنه يحيى لأنهما لم يكونا على هواهم كما ذكر القرآن الكريم ﴿ كلما جاءهم رسول بما لا تهوىٰ أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون ﴾ الآية ٧٠ من سورة المائدة » ﴿ إذ نادىٰ ربه نداء خفيا ﴾ والدعاء فى السر أفضل فيكون الإنسان خالى البال مقبلا على الله لايشغله شئ من هموم الدنيا ﴿ قال رب إني وهن العظم مني ﴾أى ضعف﴿ واشتعل الرأس شيبا ﴾ أى واشتعل الشيب فى الرأس كاشتعال النار فى الحطب ﴿ ولم أكن بدعائك رب شقيا ﴾ أى لاتجعلنى أشقى بدعائك وعدم استجابتك لى ﴿ وإني خفت الموالي من ورائي ﴾ خاف على قومه وأهله أن يتركوا الدين وتعاليمه بعد موته ﴿ وكانت امرأتي عاقرا ﴾ أى لاتلد ﴿ فهب لي من لدنك وليا ﴾ أى يتولى أمرى من بعدى بنشر الدعوة والتفرغ

ليا والسهر عليها وتحمل تبعاتها ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾ أى يرث النبوة والعلم ومن قال يرثنى فى مالى وخدمى فقد أخطأ لأن الأنبياء لايورثون لقول الرسول صلى الله عليه وسلم - نحن معشر الأنبياء لانورث فما تركناه صدقة - ﴿ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ أن يكون راضى النفس فى أفعاله وأقواله راضيا بقضائك وقدرك ، وأن ترضى عنه فما أن ينتهى زكريا عليه السلام من دعائه إلا وجاءته البشرى - ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ - وقد سمى الله هذا المولود باسم لم يكن أحد سمى به من قبل ، أو أن الله أوجده من أبوين عاقرين لايلدان ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ ﴾ كيف يكون لى ولد على سبيل التعجب من قدرة الله ﴿ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾ فهى عقيم ﴿ وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ أى أصبحت شيخا مسنا والعتى الذى أشرف على النهاية - ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾ فالله يعلم بأن امرأتك عاقر ويعلم بأنك شيخ مسن ومع ذلك بأمر منه تلد امرأتك فكل شئ على الله هين ولايعجزه شئ فى الأرض ولافى السماء - ﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾ فالذى خلقك من العدم قادر على أن يجعل العاقر تلد ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً ﴾ علامة من الله بحصول الحمل ﴿ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ دعاء زكريا عليه السلام فى سورة آل عمران لم يتحقق في ذاك الوقت إنما تحقق هنا فى سورة مريم أى عندما يمتنع لسانك عن الكلام تكون البشرى فى طريقها إليك ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ ﴾ أى المكان الذى يتعبد فيه ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ أى أشار إليهم أى أهله وأقاربه والمؤمنين برسالته أن يسبحوا الله صباحا ومساء وما بينهما وتحول النداء من زكريا إلى المولود الجديد ﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾ أى بجد واجتهاد ومداومة وصبر والكتاب هنا هو التوراة المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام التى يحكم بها أنبياء بنى إسرائيل إلى ظهور عيسى عليه السلام ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ أى فهم الكتاب ﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴾ والحنان هنا الشفقة والرحمة والمحبة والزكاة التطهير والبركة وتقيا أى مطيعا لله فى كل شئ موصولا به سبحانه وتعالى بكثرة عبادته وتسبيحه ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ ﴾ أى مطيعا لهم بارا بهم ومحبا لهما ﴿ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ أي متكبرا لا على والديه ولاعلى قومه ومواليه ، لأن الكبر يورث الشقاء ﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ والسلام هنا سلام تحية من الله وأمان معا .

ويرفع الستار مرة أخرى عن قصة مريم وابنها عيسى عليهما السلام فقصتهما في سورة آل عمران كانت بشارات أما في سورة مريم فكانت حقائق واقعة فالدعاء تارة يستجاب فورا وتارة يتأجل حسب إرادة الله سبحانه وتعالى. ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾ إن الله يذكر في القرآن الكريم المهيمن على ما سبق من كتب قصة مريم وابنها عيسى عليهما السلام لبنى إسرائيل المقيمين بالجزيرة العربية على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ، ليصحح لهم عقيدتهم فى مريم وابنها الذى جعلوه تارة إلها وتاره ابن الله وأن عيسى الإله هو خالق أمه مريم ، ومريم هى التى ولدت الإله المسيح . عقيدة فاسدة تحير العقول السليمة ،ويخبرهم بأن عيسى عبد الله ورسوله انتبذت اى تنحت وابتعدت واتخذت مكانا شرقيا حيث تشرق عليه الشمس ﴿ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا ﴾ أى حاجزا بينها وبين قومها﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾ أى جبريل عليه السلام ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ تام الخلقة البشرية فى صورة جميلة فلما دخل عليها فى خلوتها وهى التقية الطاهرة العفيفة البتول ارتعدت خوفا من هذا الشاب الذى اقتحم عليها خلوتها ، وظنت أنه يريدها بسوء ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ ويرفع الستار أى ذا تقوى يتقى الله ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾ ما هذا الكلام الذى يخدش الحياء خصوصا أمام بنت طاهرة كلها عفاف وتقوى ولم يمسها رجل .

ولكن تنفيذ كلام الله لاحياء فيه وقد اطمأنت ، وعاد إليها هدوءها عندما قال لها إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ أى متزوجة ولست من أهل البغاء ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ ﴾ أى لست متزوجة ولا أنت من أهل البغاء بل أنت نقية طاهرة ﴿ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾ ردا على قولها : أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا - ﴿ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ ﴾ أى معجزة للناس ﴿ وَرَحْمَةً مِّنَّا ﴾ أى رحمة منا مهداه إلى الناس وكل نبى هو رحمة مهداه لقومه ﴿ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ فى اللوح المحفوظ ، ونفذ الأمر بالحمل بنفخه من جبريل عليه السلام .

وفى آخر سورة التحريم قال تعالى ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ فهى التى أحصنت فرجها أى بشر فنفخ جبريل فيه بأمر من الله وصدقت بكل ما قاله الله على لسان جبريل عليه السلام ،وصدقت بكل كتبه المنزلة على الأنبياء مثل التوراة والزبور .﴿ فَحَمَلَتْهُ ﴾ومر الحمل طبيعيا - ﴿ فَانتَبَذَتْ بِهِ ﴾ أى اعتزلت بالحمل﴿ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ أى بعيداً عن أعين الناس مخافة أن يعيروها ويتهموها

بارتكاب الفاحشة ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ ﴾ أى فاجأها المخاض والمخاض هو الطلق الذى يسبق الولادة ويدفع الطفل إلى الخارج ﴿ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ هذا الجذع الموعود بأن تلد مريم تحته النبى المعجزة فعندما رأت مولودها ضاقت الدنيا أمام عينيها ماذا تقول عندما يراها الناس حاملة على يدها طفلاً وهى البكر البتول ؟ ﴿ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾ أى لم أخلق ولم يكن لى ذكر فى هذه الدنيا وهى فى هذا الهم والضيق الذى سيطر عليها ولاتدرى ماذا تفعل ماذا تأكل ماذا تشرب ؟وبماذا تغتسل ؟ ﴿ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا ﴾ والمنادى هو جبريل عليه السلام من مكان أسفل من مكانها ﴿ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾أى ماء جاريا﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ وهذا الجزع فى الصحراء القاحلة لتستند إليه من شدة الوجع ، وهزى إليك بجذع النخلة ،وأنى لهذه الضعيفة أن تهز الجزع ، وهى فى حالة وجع ، المهم أن تضع يدها على الجذع وتحرك يدها لتأخذ بالأسباب ﴿ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ أى نظيفالم يلحقه تراب ، بل كأنما نزل به الجانى توا ، والبلح فيه غذاء وعلاج وخاصة للنساء حديثى الولادة﴿ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ﴾ فكلى من هذا الرطب واشربى من هذا الماء الجارى وقرى عينا أى اطمئنى بأن الله لن ينساك فقد أطعمك وسقاك وأنت فى هذا المكان الخالى ، ومع ذلك فهى خائفة من المستقبل ، والله أعلم بما يورقها ويهز مشاعرها فأراد الله سبحانه وتعالى أن يريح بالها وأن يتولى الدفاع عنها هذا المولود الصغير ، فقال لها سبحانه وتعالى ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا ﴾فهى الآن عائدة إلى قريتها وحاملة رضيعاً بين يديها ، ولابد من أن يقابلها أهل البلد ﴿ فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ وامتنعت مريم عن الكلام بأمر من الله وسائرة على هدى منه .

﴿ فَأَتَتْ بِهِ ﴾ أى بالمولود عيسى ﴿ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ﴾ على يدها وهى مطمئنة بأن الله معها ﴿ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴾ أى شيئاً منكراً وقبيحاً وأنت الطاهرة التقية العابدة ، يوجهون لها هذا الكلام وقلوبهم تقطر ألما وحسرة على ابنتهم وهى حاملة على يدها هذا المولود فماذا تقول لهم ؟ هل تقول إن الله أرسل لها جبريل فنفخ فى فرجها وحملت بسبب ذلك ، فلابد أنهم سيضحكون منها استهزاء :﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ ﴾ ولم يقولوا يا أخت موسى وهم يعرفون عن موسى وهارون عليهما السلام كل شئ فتوراة موسى بين أيديهم وموسى معروف لديهم بأنه شديد الغضب سريع الاندفاع قوى الشكيمة حاد الطباع ، والكل يعرف كيف أنه وكز المصرى وكزة واحدة فقضى عليه ، وفى اليوم الثانى أوشك أن يبطش بالآخر ، وكيف زاحم الرعاة ورفع الدلو المملوء بالماء بمفرده ليسقى غنم

ابنتي شعيب ، وكيف قبض على لحية أخيه ورأسه يجره إليه بدون هوادة ولارحمة ، وهارون الطيب الوديع العابد الهادى الطباع دمث الأخلاق يتوسل إليه بحنان الأمومة وهذه صفات موسى وتلك صفات هارون عليهما السلام ، فأى الصفتين تناسب مريم في وداعتها وحنانها وتدينها لاشك في أن صفات هارون هي الأنسب لمريم من صفات موسى ، لذلك قالوا لها : ﴿ يا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ مثلوها بجدها هارن أى يذكرونها به ما كان أبوك سوء بل كان رجلا فاضلا كريماً ، وماكانت أمك من أهل الفواحش والبغاء ، بل كانت طاهرة تقية عفيفة حتى أن الله تقبل نذرها ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ﴾ أى على ابنها المسيح عيسى وهى صامته عن الكلام بأمر ربها ، لأن كلامها لايجدى ولايفيد ولا ينفى التهمة التى بين يديها ﴿ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ فلابد إذاً من أن ينطق هو ليبرئ أمه التى اصطفاها الله على نساء العالمين، ويبلغهم بأنه نبى ، وهنا تأتى المفاجأة أمام الجميع وينطق الذى هو في المهد صبياً ، وجاءت كلماته تدوى فى آذانهم كالرعد القاصف ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ﴾ ليس بإله ولاابن إله ولاثالث ثلاثة ، بل ﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ أى الإنجيل وإن كان لم ينزل بعد ﴿ وجعلني نبياً ﴾ هاديا ومرشدا ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ﴾بوعظى وإرشادى للناس وتبصيرهم بما ينفعهم فى دينهم ودنياهم

﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ﴾اى أدوام عليهما لأكون دائما على صلة بالذي خلقنى نبيا وأنزل على الإنجيل فيه هدى للناس ، وكل ذلك فى المستقبل بعد بلوغ سن الرسالة ﴿ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ أى بعد الوفاة لاصلاة ولازكاة ولاصيام فقد انقطعت الأعمال بالموت ولم يبق إلا ماعمله فى حياته ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي ﴾وفى قراءة وبارا بوالدتى أى مطيعا لها لا أعصى لها أمرا﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ أى متعظما متكبرا شقيا عاصيا لربه ، وبعد هذا الكلام والتبيان من المولود عيسى بأن أمه برئيه من الزنا وبأنه سيكون نبيا وسيأتينى ربى بالإنجيل وجعلنى مباركا بما أهدى به من الخير وأن أداوم على الصلاة والزكاة وجميع ما أمر بالله به ما دمت حيا .

وإلى هنا عاد عيسى عليه السلام إلى حالته الطبيعية أي حالة الطفولة حتى إذا بلغ آتاه الله الرسالة والإنجيل ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ جاء تفسير هذه الآية فى المقدمة ﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾وهذه هى القصة الحقيقية التى ذكرها رب العزة سبحانه وتعالى في محكم التنزيل فهو عبدالله لاكما يقولون بافترائهم على الله بأنه ابن الله ﴿ مَا كَانَ

لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون ﴾سبحانه جل وعلا من أن يكون له ولد أو شريك أو معين بل هو مالك الملك يعطي ويمنع وهو على كل شئ قدير . ويقول لهم عيسى عليه السلام ﴿ وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴾ طريق لاعوج فيه ولا التواء ﴿ فاختلف الأحزاب من بينهم ﴾ فى شخصية عيسى فكل فرقة منهم تاهت فى ضلالها البعيد وعيسى يقول لهم إن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴿ فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ﴾ والمشهد العظيم هو يوم القيامة عندما يسأل الله عيسى على مشهد من الخلائق كلها يوم القيامة﴿ وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب*ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدًا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد ﴾ ظالمون لأنفسهم عندما جعلوا عيسى ابن الله فهم فى هذا الضلال إلى أن يجابههم عيسى بنفسه يوم القيامة بأنه عبدالله ورسوله ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة ﴾ أى يوم القيامة ﴿ إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون ﴾أى وهم فى غفلة بما قضى الله وهم مصرون على الكفر ﴿ إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون ﴾ فأنبئهم بما كانوا يفترون .

* * *

* في« سورة المائدة الآية ٤٧ »

﴿ وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقًا لما بين يديه من التوراة ﴾ أى آثار أنبياء بنى إسرائيل﴿ وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقًا لما بين يديه من التوراة ﴾التى هى شريعة بنى إسرائيل المنزلة على سيدنا موسى ﴿ وآتيناه الإنجيل ﴾ والإنجيل هو مواعظ وحكم ، وتصحيح المعتقدات التى خالفوا فيها شريعة التوراه التى حرفوها وبدلوا فيها حتى توافق هواهم بعيدا عن النواهى والأوامر التى نزلت بها التوراة ﴿ فيه هدى ونور ﴾ أى فى الإنجيل هدى لمن أضلتهم الدنيا وزاغوا عن الحق ، ونور لمن أراد أن يبصر الطريق السليم ويعود إلى حظيرة الأمان ﴿ ومصدقًا لما بين يديه من التوراة ﴾ أى مصدقا لكل ما فى التوراة قبل تحريفها ﴿ وهدى وموعظة للمتقين ﴾ وهداية ومواعظ ليأخذ بها المتقون الذين يتقون برضاء الله غضبه ﴿ وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ﴾ من إحياء لشريعة موسى عليه السلام ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾ يعنى فإن لم يستجب بنو إسرائيل لنصيحة نبيهم عيسى عليه السلام بالرجوع

إلى حكم التوراة التى بينها الله لهم فسيكونون فاسقين بسبب خروجهم ونبذهم تعاليم التوراه .

●فى سورة الحديد الآية ٢٧ «﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا ﴾ أى آثار السابقين من لدن نوح وإبراهيم وموسى وسليمان ﴿ وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ أى وأرسلنا عيسى ابن مريم لتكون الرسالات ممتدةيعقب بعضها بعضا لهداية البشرية ولكن غلبت الغفلة على كثير من الناس مع أن هدايات الله مستمرة إذا اندثرت شريعة أرسل الله نبياً آخر لتكون السماء متصلة بالأرض بالهداية والرحمة ، فالله يريد لعباده الخير ولا يريد هم العنت « ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم » ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ ﴾ ليذكر بنى اسرائيل بما أخفوه من تعاليم التوراة التى لاتوافق هواهم وينذرهم بأس الله إذا استمروا فى طغيانهم ولم يعودوا إلى الحق المبين فى التوراة وهى مازالت باقية فى آيديهم إلا أن علماءهم يقومون بتفسير النصوص على هواهم ﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ﴾ إمن بنى إسرائيل الذين أنار الله بصائرهم وآمنوا به عندما رأوا المعجزات الخارقة المؤيد بها من الله ﴿ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾ وتلك صفات الأنبياء وأتباعهم قلوبهم تقطر الرأفة والرحمة يريدون انتشال قومهم من وهدة الضلال والغى .﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ ﴾ أى زيادة على العبادات المطلوبة منهم التى أمرهم الله بها فيما يستطيعون ، فالله لايكلف الإنسان فوق طاقته : لايكلف الله نفسا إلا وسعها» فزادوا على ما شرعه الله لهم زيادة فى التعبد شرعوا لأنفسهم عبادة الرهبنة أى إقبالا على الله وإدبارا عن الدنيا وزخارفها ، وعدم الزواج ، وهى مصادمة لفطرة التناسل ﴿ مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾ إنما التزموا بها وألزموا بها أنفسهم وكل ما شرعه الله لعباده ترتاح له النفس ولايشق عليها ﴿ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ أى فما استطاعوا أن يصبروا عليها لأنها مصادمة لغريزة الإنسان فالإنسان يأخذ ويعطى ويصيب ويخطئ ويفرح ويحزن وإن لجسدك عليك حق يأكل ويشرب ، وينام ويصحو ويتزوج ليتناسل أما أن تسير فى طريق معاكس للفطرة التى فطر الله الناس عليها فلابد من أن تجمح وتثور وتنقلب حتى لاتستطيع أن تعود بها إلى طريق الصواب مرة أخرى ﴿ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ ﴾ الذين عرفوا أن شريعة الله أفضل من شرائع البشر ، والتزموا بما أمر الله ﴿ أَجْرَهُمْ ﴾ أى أجر أعمالهم وبما صبروا على شرع الله ونفذوا تعاليمه ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ أى الذين ألزموا أنفسهم بما لم يأذن به الله فخارت عزائمهم وخسروا دينهم ودنياهم .

* * *

• **بشرية المسيح :**

وفي «سورة الصف الآية ٦ » يقول تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم ﴾ عيسى عليه السلام ينادى قومه يابنى إسرائيل وهو منهم وإسرائيل هو يعقوب ويعقوب هو ابن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام . أني رسول الله إليكم أرسلنى الله لأنقذكم من الظلمات إلى النور وأهديكم إلى طريق الحق بدلا من متاهات الباطل ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ ﴾ أى مؤيدا لما فى التوراة وهى شريعة الله المنزلة على موسى عليه السلام ، لتكون نبراسا لكم لتهتدوا بها إلى طريق النجاة ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ جاءت هذه الآية صريحة فى إنجيل برنابا ، وفى بعض الأناجيل الأخرى يقول عيسى : سأذهب إلى أبى يعنى إلى ربى فكلمة أبى تعنى فى القرآن ربى ليرسل لكم معزيا آخر يعنى نبيا آخر يجعل كلامه فى فمه ويمكث معكم إلى الأبد ، وهذا النبى هو محمد عليه الصلاة والسلام ومعنى يمكث معكم إلى الأبد يعنى بشريعته التى ستستمر إلى الأبد ، وهم يظنون بأن النبى الذى بشر به المسيح سيكون منهم أى من بنى إسرائيل مع أن التوراة تقول : إن الرب سيرسل نبيا من إخوتكم مثلى أى مثل موسى ولم تقل من أنفسكم وإخوتهم هم أبناء إسماعيل . والله سبحانه وتعالى يقول لأهل مكة « وأرسلنا إليكم رسولا من أنفسكم » وتقول التوراة : ظهر الرب من سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من فاران » ومعنى ظهر الرب من سيناء أى بالتوراة على سيدنا موسى على جبل الطور ، ومعنى أشرق من ساعير أى برسالة سيدنا عيسى الذى تلقى الإنجيل من على جبل ساعير بالضفة الغربية من فلسطين .

ومعنى استعلن من فاران هوجبل حراء الذى تلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن من فوقه وكلمة استعلن أى انتشر وامتد فى الآفاق حتى دخل الناس فى دين الله أفواجا وهذه الآية التى فى التوراة مثل الآية التى فى التين . وهى قوله تعالى﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ ترمز لرسالة سيدنا عيسى فى فلسطين التى تكثر فيها الفواكة والموالح وطور سينين لرسالة سيدنا موسى على جبل الطور ، وهذا البلد الأمين ترمز لرسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. ولذلك هاجر كثير من اليهود إلى جزيرة العرب ينتظرون هذا النبى الذى بشر به المسيح وهم يظنون أنه سيكون منهم أى من بنى إسرائيل وقد بينت التوراة كثيرا من أوصاف هذا النبى عليه الصلاة والسلام وهم يعرفونه بتلك الصفات الى بينتها التوراة وعرفها بحيرا الراهب فى محمد بن عبدالله وهو صغير ، وكان مسافرا مع عمه أبى طالب وقد رأى بحيرا الراهب خاتم النبوة خلف كتف محمد اليمنى ، وقال

لأبى طالب :احفظه من اليهود﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم ﴾ أى محمد صلى الله عليه وسلم ما عرفوا من أوصافه كفروا به فلعنة الله على الكافرين، فلما جاءهم بالبينات أى عيسى عليه السلام جاءهم بالمعجزات التى وقفوا أمامها عاجزين قالوا هذا سحر مبين يعنى سحر ظاهر للعيان .

●وفى « سورة المائدة ١١٠ »﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ والله سبحانه وتعالى دائماً يذكره باسم أمه مريم مع أن الله سبحانه وتعالى يذكر الأنبياء بأسمائهم فقط مثل يا إبراهيم يا نوح يا لوط يا زكريا ، أما فى عيسى فيقول فى الأغلب يا عيسى ابن مريم لأن عيسى وأمه معجزة ﴿ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ أى جبريل . تكلم الناس فى المهد أى وأنت طفل رضيع لتبرئ أمك مما نسبوه إليها من الفحش والبغاء ﴿ وَكَهْلًا ﴾ أى تكلم الناس وتوعظهم بما فى الإنجيل وذلك بعد بلوغك ، ﴿ إِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ الكتاب هو التوراة والحكمة أى الإنجيل والإنجيل هو إنجيل عيسى عليه السلام لا إنجيل متى أو إنجيل مرقص أو إنجيل لوقا أو إنجيل يوحنا ﴿ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي ﴾ أى بأمرى ﴿ و فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ﴾ هذه المعجزات لتكون آية صدق على رسالته ، وذلك أمام بنى إسرائيل ، وهذا العمل فوق طاقتهم ولن يستطيعوه أبداً ، لأنه إعجاز يتحداهم أن يفعلوا ذلك ، وهذا من دلائل النبوة ، وإبراء الأكمه والأبرص لأن الرهبان فى عهد سيدنا عيسى قد بلغوا شوطاً كبيراً فى الطب ، وأوجدوا لكل داء دواء ، ولكن داء الأكمه والأبرص وقفوا أمامه عاجزين ، مع أنهم أساتذة الطب .

والأكمه : الأعمى ، وإذ تخرج الموتى بإذنى ، وليس معنى ذلك أن تحيى القلوب الميتة بتعاليم التوراة والإنجيل ، ولكن بإحياء الموتى بعد وفاتهم ﴿ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ ﴾ أى عصمتك منهم عندما أرادوا قتلك . فلم يستطيعوا الوصول إليك لينالوا بغيتهم وذلك بسبب ﴿ وَإِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ أى المعجزات الدالة على رسالتك ﴿ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ قطعة من الطين ينفخ فيها فتطير ، فهذا عندهم يكون سحراً وإبراء الأكمه والأبرص بدون علاج يعتبر عندهم سحرا .

فكل شئ لا يستطيعونه ويأتى به عيسى فهو سحر ، وذلك بسبب عمى قلوبهم وحسدهم على من يختاره الله لرسالته ، ألم يحسدوا أخاهم يوسف ويلقوه فى الجب ليموت .

●وفى سورة الزخرف الآية ٦٤ يقول تعالى ﴿ ولَمَّا جاء عيسَىٰ بالْبيِّنات ﴾ أى وجاء قومه بالمعجزات ﴿ و قالَ قدْ جئْتُكُم بالْحكْمة ﴾ أى بما فى الإنجيل من مواعظ وهداية ﴿ ولأُبيِّنَ لكُم بعْضَ الَّذي تخْتلفُونَ فيه ﴾ فمنكم من يقول إنى إله ومنكم من يقول إنى ابن الله ، ومنكم من يقول إنى ثالث ثلاثة .

﴿ فاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ فيما تقولون ﴿ وأَطيعُون ﴾ فيما أرسلت به إليكم لهدايتكم من الضلال ، ولأبين لكم الحق ﴿ إنَّ اللَّهَ هُو ربِّي وربُّكُمْ ﴾ فأنا عبد الله مثلكم ولا ميزة لى عليكم إلا أنى أبلغكم رسالات ربي وأبين لكم وأقربكم إلى كل ما يرضيه وأبعدكم عن كل ما يغضبه ﴿ فاعْبُدُوهُ هذا صراطٌ مُّسْتقيمٌ ﴾ هذا الذى أبلغكم به هو ما يوحى به الله إلى لأهديكم إلى الطريق القويم .

●وفى سورة الأعراف الآية ٥١ ﴿ ورسولا إلى بنى إسرائيل ﴾ فقط لا إلى غيرهم من الناس ويجوز أن يكون هناك اثنان من الأنبياء فى وقت واحد مثل سيدنا إبراهيم فى فلسطين وسيدنا لوط فى شرق الأردن ، ومثل سيدنا موسى وهارون ، ومثل سليمان وداود ، أما سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فلجميع المخلوقات إنسهم وجنهم ، وقد مر أكثر من ألف وأربعمائة سنة ولم يظهر نبي آخر مرسل من عند الله .مصداقا لقول الله سبحانه وتعالى ﴿ ولَكن رَّسُولَ اللَّه وخاتمَ النَّبيِّين ﴾ الآية أربعين من سورة الأحزاب . ﴿ إنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرى الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله ﴾ هذه الآيات جاءت فى سورة المائدة ويظهر أن هذه المعجزات فى هذه الآية زادت معجزة أخرى وهى قول سيدنا عيسى ﴿ وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ﴾ فسيدنا عيسى عليه السلام ينبئهم بالطعام الذى سيأكلونه وفوق ذلك يخبرهم بما يدخرون فى بيوتهم .مما لا يعلم بها أقرب الأقربين إليهم . فهذه معجزات الله سبحانه وتعالى على يد رسوله لكى يؤمنوا به ويتبعوه ويتخلوا عن التعنت والظلم .

﴿ ومصدقا لما بين يدى من التوراة ﴾ فأنا مؤمن ومصدق لما فى التوراة ﴿ ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم ﴾ أى فى التوراة أيام عنادكم لموسى عليه السلام ، عندما كنتم تخطئون فكان عليكم أن يقتل بعضكم بعضا حتى يتوب الله عليكم ، فرفع ذلك عنكم ، وإذا لحقت بثوب أحدكم نجاسة فعليه أن يقطع تلك البقعة من الثوب ، فرفع ذلك عنكم ، وقلتم أرنا الله جهرة فشدد الله عليكم ومنعكم من الصيد فى أيام السبت فأرسلنى الله لأرفع عن كاهلكم تلك

الأحكام القاسية ، وكما قال الله سبحانه وتعالى في سورة الأنعام الآية ١٤٦ ﴿ وعلى الذين هادوا ﴾ يعني اليهود ﴿ حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ﴾ فقد أحل الله لهم اللحوم الحمراء وحرم عليهم الشحوم والدهون التى تمد الجسم بالحراريات واستثنى الشحوم والدهون التي علقت بالعظام أو الأمعاء الغليظة أو الدقيقة ﴿ ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون ﴾ فجاء سيدنا عيسى عليه السلام ليحل لهم كل ما منعوا منه سابقاً رحمة من الله بهم ﴿ **وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون** ﴾ فيما آمركم به وأنهاكم عنه ﴿ **إن الله ربى وربكم فاعبدوه** ﴾ أى هو الذى يستحق العبادة لما أولاكم من نعم لاتعد ولاتحصى ﴿ **هذا صراط مستقيم** ﴾ أى هذا الذى أدعوكم إليه هو الطريق الصحيح الموصل إلى رضوان الله ﴿ فلما أحس عيسى منهم الكفر ﴾ والصدود عن دعوته ﴿ **قال من أنصارى إلى الله** ﴾ أى قال لمن حوله من اليهود ﴿ **قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون** ﴾ قال أنصاره ومؤيدوه وأتباعه نحن أنصار الله المدافعون عن شريعة الله مهما أصابنا من أذى : ﴿ ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فأكتبنا مع الشاهدين ﴾ يتوجه أنصار عيسى عليه السلام إلى الله بهذا الدعاء : ربنا آمنا بما أنزلت من التوراة والإنجيل والمعجزات التى أيد الله بها عيسى عليه السلام واتبعنا رسولك ظاهراً وباطناً فاكتبنا أى أسلكنا مع الشهداء والأنبياء.

●وفي« سورة التوبة الآية ٣١ » يقول تعالى ﴿ وَقَالَت الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّه وَقَالَت النَّصَارى الْمَسيحُ ابْنُ اللَّه ﴾ لأن عزير أماته الله مائة عام ثم بعثه وكلمه الله شفاها واختلفت العلماء فيه هل هو نبى أم ولى والذى أرتاح إليه وتطمئن النفس إليه هو نبى من أنبياء بنى إسرائيل الذين لايعلم عددهم إلا الله وأما النصارى فيقولون إن المسيح ابن الله بعد ما قتل وصلب وقبر ولبث فى القبر ثلاثة أيام وأربع ليال ، ومنهم من قال قبر أربعة أيام وثلاث ليال على اختلاف فى أناجيلهم ، وأكثر ما في أناجيلهم مختلق ومحرف لأنها ليست من عند الله إنما ما هو من عند الله هو إنجيل عيسى المنزل عليه من الله وليس له وجود الآن فقد ضاع منهم فى الحروب مع أعدائهم ولو جمعنا الأناجيل التى تحت أيديهم الظاهر منها والخفى لبلغت المئات ، والعجب كل العجب أن المسيح فى حياته ناصبوه العداء وتآمروا على قتله ، ومع ذلك فالنصارى جعلوه إلها أو ابن إله فرفعوه فوق قدره ، واليهود قالوا عنه ابن زنا فأنزلوه إلى الحضيض ، أما المسلمون فهو عندهم نبى ورسول ومن أولى العزم ، وأمه صديقة طاهرة مطهرة من كل دنس ، وهى وابنها آية

للعالمين : ﴿ **ذلك قولهم بأفواههم** ﴾ أى هذا القول من عند أنفسهم ﴿ **يضاهون قول الذين كفروا من قبل** ﴾ يشابهون قول الوثنيين والرومان والفراعنة وغيرهم ﴿ **قاتلهم الله أنى يوفكون** ﴾ أى لعنهم الله أينما كانوا وذلك بقولهم كذباً وبهتاناً ﴿ **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله** ﴾ أى أطاعوهم فى كل شئ فحرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم حرام فتلك عبادتهم لهم ﴿ **والمسيح ابن مريم** ﴾ أى وكذلك اتخاذهم المسيح ابن مريم إلها ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون** ﴾ فالله غنى عن الولد والشريك والصاحب والمعين ، فهو قائم بذاته لاتأخذه سنة ولا نوم ، سبحانه فى علاه عما يشركون به من عزير أو المسيح فالكل مربوبون لله والكل تحت سلطانه .

●وفي سورة المائدة ١٧ يقول تعالى ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مريم ﴾ هذا كفر ملة يخرج صاحبه من الدين لأن الكفر كفران كفر ملة وكفر نعمة ، أما كفر النعمة مثل قوله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾● الآية ١٥ : ١٧ » سورة سبأ ومثل قوله تعالي ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾الآية ١١٢ » - سورة النحل ﴿ **قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعاً** ﴾ وهنا يتحداهم الله سبحانه وتعالى بقوله : قل يا محمد لهؤلاء النصارى من يملك من الله شيئاً أي من يستطيع أن يتصدى لإرادة الله و يقف حاجزاً أمام قدرة الله ؟ الكل عباده والكل تحت سلطانه وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ﴿ ولله ملك السموات والأرض وما بينهما ﴾ فالله يذكرهم بأن له ملك السموات والأرض وما بينهما من ملائكة وإنس وجن ومن شموس وأقمار وكواكب وأنهار ، وهو لايحتاج إلى ابن أو شريك يعينه ﴿ يخلق مايشاء ﴾ فإن كان خلق عيسى من غير أب فقد خلق آدم من قبل من غير أب ولا أم ﴿ والله علي كل شئ قدير ﴾ فخلق السموات والأرض وخلق النملة سواء ، إنما إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباءه ﴾ فإن كنتم أبناء الله وأحباءه والمقربين إليه بزعمكم ﴿ قل فلم يعذبكم بذنوبكم ﴾ بالأمراض والزلازل

● سيل العرم : أتي الله علي السد الذى كان يمنع عنهم السيل والخمط شجر الأراك ، والأثل : شجر مر .

والسيول وموت الأبناء وذهاب الأموال وتسليط الأعداء عليكم ، يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم . هذا في اليهود ، أما أنتم أيها النصارى فكيف تكونون أبناء الله وأحباءه مع أنكم غيرتم وبدلتم في شريعته ، وأحللتم ما حرم الله وحرمتم ما أحل الله ، فسلط الله عليكم أمراضا لن تستطيعوا علاجها وعالجها المسيح ابن مريم كمعجزة من الله وسلط الله عليكم الرومان فخالفوكم في المذهب وتحكموا في رقابكم فهدموا كنائسكم وأحرقوا كتبكم ، وأخذوا أموالكم وقتلوا أكثر من سبعين ألفاً من علمائكم وقسيسيكم ، ولا زلتم إلى اليوم تحتفلون بيوم الشهداء الذين قتلهم الرومان ، وقد هرب باقي علمائكم وقسيسكم ورهبانكم إلى الصحارى خوفاً من ظلم الرومان ، الذين هم من دينكم دين المسيحية ولولا الإسلام الذى أنقذكم من حكم الرومان لأبادوكم عن بكرة أبيكم ، وهذا عذاب دنيوى لمخالفتكم أنبياءكم ولأدعائكم أيها اليهود بأن جدكم يعقوب عليه السلام المسمى بإسرائيل صارع الإله من أول الليل إلى الفجر والإله يطلب من إسرائيل أن يفلته ويأبى إسرائيل أن يفتله إلا أن يباركه فباركه هو وذريته ثم أفلته . سبحان الله في علاه . لقد جئتم شيئاً نكرا وأنتم أيها النصارى بادعائكم أن المسيح ابن الله وأنه غفر لكم جميع ذنوبكم فالله سبحانه وتعالى لايحابى أحدا وليست له قرابة بأحد ولانسب ، إنما هى أعمالكم يحصيها عليكم ثم ترد عليكم يوم القيامة إن خيراً فخير وإن شراً فشر ﴿ **بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء** ﴾ ولكن بميزان العدل فالله لايظلم أحدا فهو يغفر بعض الذنوب لمن يشاء إلا الإشراك بالله ، وأنتم جميعاً أشركتم بالله ، فاليهود قالوا عزير ابن الله شرك لن يغفره الله إلا بالتوبة النصوح ، والنصارى قالوا المسيح ابن الله وهذا شرك لايغره الله كذلك إلا بالتوبة النصوح ﴿ ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير ﴾ فهو لايحتاج إلى ابن أو شريك يعينه في تدبير ملك السموات والأرض فهو يعين ولايعان ولاتتحرك ذرة في ملكه الذى لانهاية له إلا بعلمه وإليه مصير الخلائق كلها ليحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون .

● وفي سورة المائدة الآية ٧٣ يقول سبحانه تعالى ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ فهذا كفر ملة يمرق صاحبه من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، وهذا الكفر لايغفر إلا بالتوبة النصوح بعد اغتساله من جنابة الشرك وأن يشهد بأن الله واحد لاشريك له وقد جعل الله للمشركين والكفار فسحة من الوقت رحمة بهم وهو الرحيم إلى ما قبل الغرغرة .

وقال المسيح .. ﴿ يابنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم إنه من يشرك بالله ﴾

ويتخذ من مخلوقات الله أربابا يحبهم كحب الله ﴿ **فقد حرم الله عليه الجنة** ﴾ وذلك لعدم كفره بتلك المعبودات الباطلة ﴿ **ومأواه النار** ﴾ أى مكانه الدائم ﴿ وما للظالمين من أنصار ﴾ لا كلمة توحيد تتبعها صلاة أو صيام فمن أين يأتيهم الأنصار وقد ظلموا أنفسهم باتخاذهم أربابا من دون الله وخالفوا الفطرة التى فطر الله الناس عليها . فلو جئت بطفل صغير وقلت له أين الله فسيرفع إصبعه إلى السماء إقرارا منه بأن الله فى السماء أى فى العلو وتلك الفطرة السليمة ولكنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ﴾ وتلك مجموعة أخرى غير المجموعة الأولى التى قالت إن الله هو المسيح ابن مريم ، فهذه المجموعة من النصارى تقول : الأب وهو الله والابن وهو المسيح والروح وهو القدس وهو جبريل هم الله واحد فى ثلاثة أقانين ﴿ وما من إله إلا إله واحد ﴾أما الآخران وهما المسيح وجبريل عليهما السلام فهما من عباد الله خاضعين لمشيئته وتحت سلطانه ومن يقل منهم أى المسيح أو جبريل إنى إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين ﴿ وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ﴾إن هذا الإنذار الذى يحمل فى طياته كل تهديد ووعيد ترجف منه القلوب وتنخلع منه الأفئدة يتوعدهم الله سبحانه وتعالى بهذا الهول العظيم إن لم ينتهوا عن هذا الإشراك بالله ، وأن يعودوا إلى حظيرة التوحيد لينجوا من هذا المصير المظلم الذى ينتظرهم فى الآخرة .

●وجاء فى سورة المائدة الآية ٧٥ قوله تعالى﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ فالمسيح عيسى ابن مريم ما هو إلا رسول فى سلسلة الأنبياء والرسل من بنى إسرائيل وهو آخر أنبيائهم ثم انتقلت الرسالة بعد ذلك إلى بنى إسماعيل أبى العرب فظهر من ذريته خاتم الأنبياء وسيد المرسلين وذلك مصداقا لدعوة جده إبراهيم عليه السلام عندما دعا ربه قائلا ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ «سورة البقرة الآية ١٢٩ »

﴿ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾ فقد صدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين ﴿ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ ﴾ فهذه حجة تبطل شبهتهم بأن المسيح ابن الله فالله يقول لهم بصريح العبارة إنهما أى المسيح وأمه كانا يأكلان لأن الابن يجب أن يكون مثل أبيه فى الصفات وما داما يأكلان الطعام إذاً هو وأمه عبدان لله يخضعان لمشيئته : ﴿ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ﴾أى الآيات القدرة والمشيئة فأمه تلده بدون زوج ، وهو يكلم الناس فى المهد ، وهو ملفوف فى خرقة ﴿ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ أى

انظر يا محمد كيف يصدفون عن الحق بعد هذا البيان ، وفى سورة المائدة الآية ٦٦ يقول تعالى :﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ﴾ أى اليهود والنصارى فالقرآن يتكلم عن الماضى والمستقبل ﴿ أَقَامُوا التَّوْرَاه وَالإِنجِيل وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ أى لو أنهم أطاعوا التوراه والإنجيل وعملوا بما فيهما وآمنوا بما أنزل إليهم من ربهم وهو القرآن المهيمن على كل ماسبق من كتب ،وهو الذى يحق الحق ويبطل الباطل وهو الكاشف والمصحح لما بدلوا وغيروا فالذى يؤمن بالتوراة المنزلة على موسى لابد أن يؤمن بالإنجيل المنزل على عيسى ، والذى يؤمن بالإنجيل لابد أن يؤمن بالقرآن المنزل على رسول الله ، ولكن اين هى التوراة الحقيقية والإنجيل الحقيقى ؟ فلم يبق إلا القرآن كما أنزل ، فهذه الكتب المسماة بالتوراة والإنجيل قام بتأليفها أناس لايعرف لهم تاريخ ولا لما ألفوه قد أثبتوا فى هذه الكتب القليل جداً من الحق والكثير جداً من الباطل ، ولذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :«لاتصدقوا أهل الكتاب ولاتكذبوهم .

﴿ لأَكَلُوا من فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾ لأكلوا من فوقهم من ثمار الأشجار والنخيل ومن طيور ومن تحت أرجلهم من غلال وخضروات وفواكه ﴿ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ أمة تؤمن برسل الله وكتبه واليوم الآخر . أمه مقتصدة أى معتدلة ، فهم يقولون فى المسيح عبد الله ورسوله وهم يؤمنون برسالة محمد صلى الله عليه وسلم كما أمرتهم التوراة وكذلك الإنجيل وكثير منهم ساء ما يعملون أى من تحريف وتبديل فى كتب الله المنزلة على الأنبياء والرسل .

●وفى سورة المائدة كذلك الآية ٦٨ يقول تعالى ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ الخطاب هنا موجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقول لأهل الكتاب من اليهود والنصارى إنكم لستم على شئ من الحق حتى تحكموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم أى القرآن المنزل على رسولنا محمد ، المذكور فى كتبكم سواء فى التوراة أو الإنجيل وعملتم بما فى هذه الكتب لأوصلكم هذا إلى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم .

●وفى سورة المؤمنون الآية ٥٠ يقول تعالى﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾ أى معجزة لقومهما ﴿ وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ فخرج بها أحد يوصلها إلى مصر هربا من ظلم الرومان الذين كانوا يحكمون فلسطين فقد رأى ملك الروم رؤيا هزت كيانه هزاً عنيفاً فعرضها على المنجمين فأخبروه أن هناك مولودا يظهر من اليهود يسلب ملكه فكانت عيون الرومان تتحسس وتتجسس عن هذا

الطفل وقد عادت هي وابنها بعد أن هدأت الأحوال وكان اليهود يكرهون المسيح لما كان يوعظهم به ويؤنبهم على إخفائهم الحقائق ويوبخهم على أكل أموال الناس بالباطل ، ويحرمون علي الناس ما يحلونه لأنفسهم .

وفي سورة البقرة الآية ٨٧ يقول تعالى ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾ أي التوراة ﴿ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ﴾ منهم داود وسليمان ويوشع وغيرهم كثير ﴿ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ ﴾ أى المعجزات الدالة على نبوته ﴿ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ بجبريل عليه السلام فلا يستطيعون أن يقبضوا عليه ليقتلوه أو ليصلبوه ثم يأتي التوبيخ النارى الذى يزلزل كيانهم ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ تقريباً للأذهان أى وما العمل فيكم يابنى إسرائيل كلما أرسلنا لكم رسولاً يبين لكم الحق الذى تكتمونه استكبرتم ﴿ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ ﴾ برسالتهم ، وقلتم هذا سحر مبين ﴿ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ مثل يحيى ، ومحاولتكم قتل عيسى عليه السلام لو لا أن الله نجاه منكم ، ومحاولتكم قتل محمد عليه الصلاة والسلام عندما ذهب هو وأصحابه إلى أحد أحياء اليهود يطلب منهم المساهمة ببعض المال للدفاع عن المدينة ضد قريش علي حسب ما هو مدون في المعاهدة التى تمت بينهم وبين رسول الله على أن يدافعوا مع المسلمين إذا هاجم عدو المدينة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً فى ظل جدار ومعه بعض الصحابة فقالوا نعم : يا أبا القاسم انتظر قليلاً حتى نأتى لك بالمال الذى تريده وصعد أحدهم إلى سطح المنزل وأراد أن يلقى بالحجر على رسول الله ، ولكن الله أخبره بذلك فقام رسول الله مسرعاً ورجع إلى المدينة هو وأصحابه وجهز لهم كتيبة من كتائب الإسلام فتم قتلهم جميعا وسبى نساءهم وأخذ أموالهم ، وذلك جزاء خيانتهم لعهودهم ونكثهم للاتفاقيات التي تتم بينهم وبين غيرهم .

وفي سورة النساء الاية ١٥٨ يقول تعالى ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾ وقولهم على مريم أنها ارتكبت الفاحشة وأنجبت مولوداً بدون أب وذلك فرية شنيعة : ﴿ وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم ﴾ أى شماتة فى من كان يوعظهم ويرشدهم إلى الطريق القويم ﴿ رسول الله ﴾ المؤيد بالمعجزات الدالة على رسالته ﴿ وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ﴾ فلما ضاق حاخامات اليهود بعيسى ذرعاً عندما كشف خباياهم وظلمهم ومكرهم ، أوحوا إلى الوالى الرومانى بأن هذا الرجل أى المسيح يؤلب الشعب ويتزعم عصابة أى الحواريين ، ويريد قلب نظام الحكم ليستولى هو على السلطة ، والحاكم من أخص واجباته استتباب الأمن في ولايته إذاً لابد من القبض علي هذا الشخص زعيم الإرهابيين المندسين وسط البساتين والغابات ، وتقديمه إلى المحكمة

العسكرية ، وقد قام اليهود بما لديهم من مال وخديعة بجذب أحد تلاميذ المسيح عليه السلام وهو يهوذا الإسخريوطى الخائن ، وقد دلهم على المكان الذى يجتمع فيه المسيح مع تلاميذه ،وقام اليهود بتبليغ الوالى فأحضر قوة من القوات الخاصة وسار اليهود معهم يتقدمهم الخائن يهوذا وقال لهم إن الذى أضمه وأقبله يكون هو المسيح وعندما دخلوا البستان تحكى الأناجيل أن المسيح فى هذا الوقت كان يتأوه ويئن ويقول إيلى إيلى لماذا تركتنى يا ربى أذهب عنى هذا الكأس أى كأس الموت وعندما دخلوا عليه وعنده تلاميذه قام يهوذا بضم المسيح وتقبيله وهنا تقدم الجند يريدون القبض عليه يقول النصارى واليهود إنه قد تم القبض على المسيح وذهبوا به إلى مكان عام ليقتلوه ويصلبوه وعندما تقدم الجند للقبض عليه صاح فيهم المسيح عليه السلام ، فسقطوا مغشياً عليهم ، وتلك معجزة ليتمكن المسيح وأنصاره من الهرب ، وعندما تيقظوا ألقى شبه عيسى على يهوذا ، فأخذه الجند وصلبوه ، واليهود يظنونه المسيح وقد اجتمع خلق كثير أثناء صلبه مع اثنين من اللصوص وكانت مريم أم عيسى وصديقتها مريم المجدلية نسبة إلى مدينة مجدل الفلسطينية حاضرتين عملية الصلب فلو كان المصلوب هو عيسى لصاحت أمه ، ولشقت الجموع لتدافع عن ابنها ، فهى تعلم أن المصلوب ليس ابنها فهى تعرف ابنها من هيئته وملامحه وشعره وعينيه ، فهى التى ربته من الصغر فكيف لاتعرف ابنها من غيره نعم هو يشبه ابنها عيسى إلى حد كبير ، ولكن فى الحقيقة ليس هو ابنها وقالت الأناجيل إنه صلب وأنزل من على الصليب بعد أن تيقنوا من موته ، أخذه أحد أقربائه وغسله وكفنه ثم قام بدفنه ووضع على فتحة القبر حجرا وفى الصباح جاءت امرأتان فوجدتا الحجر بعيدا عن فتحة القبر ولم تجدا فى القبر أحدا ووجدتا الكفن ملقى والمسيحيون يحتفلون بهذا اليوم ويسمونه يوم القيامة . أى أن المسيح قام من بين الأموات .

وقد ألف فضيلة الشيخ أحمد ديدات المناظر الفذ رسالة صغيرة بعنوان « زحزح الحجر » ﴿ **وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه** ﴾ وذلك لقولهم ليهوذا وهو في الطريق إلى صلبه أأنت المسيح ؟ فيقول لو قلت لكم لست أنا المسيح لاتصدقونى وإذا قلت لكم أنا المسيح تصدقونى وقد ذكرت بعض الأناجيل الموجودة بأيدى المسيحين وهي متى - لوقا - يوحنا - مرقص أن عيسى قبل القبض عليه قال لأصحابه عند صياح الديك أى عند الفجر : سيسلمنى أحدكم ولم يكن يهوذا الإسخريوطى أحد تلاميذه حاضرا معهم ، لأنه كان مشغولا فى التخطيط مع اليهود ورجال الأمن على القبض على المسيح فقد باع هذا الخائن

دينه ودنياه بثمن بخس ومع القبض عليه وهو الذى ألقى الله شبه المسيح عليه وصلبه ولكن فى قلوبهم شك منه ﴿ ما لهم به من علم إلا اتباع الظن ﴾ أهو المسيح أم لا ﴿ وما قتلوه يقينا ﴾ أى وما قتلوه حقيقة بل رفعه الله إليه أى بعد وفاته ، وهو رفع الروح لارفع الجسد كما أوضحنا ذلك ﴿ وكان الله عزيزا حكيما ﴾ عزيزا إذ نجاه من بينهم فلم يستطيعوا القبض عليه ولا أن يمسوه بسوء ، حكيما فى تصريف الأمور لكى ينجى أنبياءه ورسله من أيدى أعدائه كما نجى رسوله محمدا عليه الصلاة والسلام أثناء حصار المشركين لبيته وهو فى داخله ، يريدون قتله عندما يخرج فنام على بن أبى طالب كرم الله وجهه على فراش النبى ،ليسلم الأمانات إلى أهلها .

يقولون عن الرسول إنه ساحر مجنون كذاب ومع ذلك يأتمنونه على أموالهم ويحفظون عنده ودائعهم وخرج عليهم وهو يتلو عليهم ﴿ **فأغشيناهم فهم لايبصرون** ﴾ ووضع التراب على رؤوسهم وخرج ولم يروه.

●وفى سورة آل عمران الآية ٥٤ ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ ﴾أى شعر من تصرفاتهم وتحركاتهم الكفر برسالته وبإنجيله أراد أن يطمئن على إخلاص أنصاره﴿ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ الذين يدافعون عن الحق لايخشون لومة لائم﴿ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ ﴾ المصدقون برسالتك الحافظون لما فى التوراة والإنجيل ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ ﴾ بأنه لا إله إلا هو ولامعبود سواه ﴿ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ مسلمون لله فى كل أعمالنا وأقوالنا مسلمون لله فى السر والعلن مسلمون لله خاشعين خاضعين لانستعين بأحد سواه ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ ﴾ من كتب ﴿ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ ﴾ فى كل ما أمرنا به ونهانا عنه﴿ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ الذين يشهدون على أقوامهم يوم القيامة فنحن شاهدون على أن عيسى عبد الله ورسوله جاءنا بالإنجيل والمعجزات وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ فتنادوا واجتمعوا وخططوا ودبروا لقتل عيسى عليه السلام ومكر الله إذ نجاه ولم يمسوه بسوء وردهم خائبين ونصر الله عيسى وأنصاره الذين نشروا إنجيله المنزل من عند الله فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسلط عليهم الله من أذلهم ودمر ملكهم .

وفى سورة المائدة الآية ١١٥ يقول تعالى ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ أى هل يستجيب لك ربك إذا ما دعوته فهم يطلبون معجزة خارقة تنزل مائدة من السماء وهم يعرفون أن عيسى عبدالله ويعلمون أنه لن يستطيع أن يأتى بمعجزة من تلقاء نفسه وإنما قالوا له : هل يستطيع ربك أى هل يستجيب لك ربك إذا ما دعوته أن ينزل علينا مائدة

المعجزات فكيف تطلبون معجزة أخرى ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ أى ونزداد إيمانا لأن الإيمان يزيد وينقص ﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ أى استجبت لسؤالنا ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ لنحدث بها من خلفنا ممن لم يروها ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾ ليفرح بها أولنا واخرنا ونتخذها عيداً لنا ﴿وَآيَةً مِّنكَ﴾ أى معجزة منك وحجة علينا ﴿وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ أى وارزقنا وأنت الرازق الحق ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ أى سأنزلها ولكن بعد أخذ العهد عليكم ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ﴾ أى بعد نزولها عليكم ﴿فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ ولكن الحواريين عندما سمعوا هذا التهديد المرعب والعذاب الشديد الذى ينتظرهم إذا هم حادوا لم تنزل ، ويظهر أنهم تراجعوا عن طلبهم بعد هذا التهديد والله أعلم .

●فى سورة النساء الآية ١٧٢ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ والله سبحانه وتعالى دائماً يناديهم بـ يا أهل الكتاب أو يابنى إسرائيل وهو نداء مجازى لأنهم أصبحوا لا أهل كتاب ولا أبناء إسحاق المسمى بإسرائيل ، كما ننادى فى هذا العصر الخبيث يا أهل القرآن يا أبناء العروبة أنقذوا الأقصى الأسير فى قبضة أبناء القردة والخنازير فلا من سميع ولا من مجيب لم نعد فى هذا الزمن أهل القرآن وأبناء الاسلام حقا : ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ الغلو زيادة فى الدين عن الحد المطلوب ، فغلو اليهود فى عيسى جعلوه ابن زنا وغلو النصارى جعلوه إلها ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ولكن قولوا عبد الله ورسوله »راه البخارى ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ*إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾أى أن المسيح خلق بكلمة من الله أى كن عيسى فكان .

الله واحد أحد لاشريك له وبرسله وهم المبلغون عنه والمؤيدون بالمعجزات القاهرة ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا فآمنوابالله ورسله خَيْرًا لَّكُمْ﴾ تقولون الآب والابن والروح القدس هؤلاء الثلاثة اله واحد ، خيرا لكم فهذا تهديد لهم من الله إن لم يعودوا إلى طريق الحق ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ﴾ أى تنزيهاً له أن يكون له ولد سبحانه فى علاه أن يحتاج إلى ولد إنما الذى يحتاج إلى الولد هوالمخلوق ليعينه على تصريف أموره فى الدنيا وذلك بخلاف القادر القاهر فوق عباده ﴿أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾أى تنزيها لله سبحانه وتعالى عن الزوجة والولد ﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾فالكل ملك لله والكل عباده وتحت سلطانه ولا أستثناء فى ذلك وهو الذى تتوكل عليه الخلائق كلها فى جميع

أمورهم وشئونهم ﴿ لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ ﴾ أى لن يأنف ولن يتكبر ﴿ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ ﴿ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ ﴾ ويتكبر ولايطيع ﴿ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ في يوم المحشر ليجازى كلا بما يستحق ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر .

●وجاء كذلك في سورة آل عمران الآية ٥٥ » قوله تعالى ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ جاء شرحها في المقدمة ﴿ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ بالبعد عنهم ومخالطتهم وأن لايمسوك بسوء ومتوفيك ﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ ﴾ وآمنوا بك وبما أنزل عليك وهو الإنجيل وما أنزل من قبلك أى التوراة وآمنوا بما أخبرتهم به بأن الله سيرسل إليهم نبيا اسمه أحمد ليبشروا به من جاء بعدهم ﴿ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ بالحجة والبرهان وبما رأوا من معجزات ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ المتبعون لعيسى عليه السلام وآمنوا بإنجليه الحق المنزل من عند الله وقد هدى الله كثيرا من المسيحيين في أوربا وأمريكا بعد ما قرأوا تلك الآيات وعقلوها واستبان لهم الحق من الباطل بعيدا عن تفسيرات قسيسيهم وأحبارهم الآيات التى اعتنقوها كعقيدة هي نفسها التي كانت سببا في ترك المسيحية ودخولهم في الإسلام ﴿ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ أى أبين لكم ما كنتم فيه تختلفون :

صدق الله العظيم
والحمد لله رب العالمين

الفهرست

مراجع الكتاب

- القرآن الكريم .
- الحديث النبوى .
- الإسرائيليات فى التفسير والحديث — للشيخ الذهبى
- قصص الأنبياء — للشيخ عبد الوهاب النجار
- العواصم من القواصم — القاضى ابن العربى
- نيل الأوطار — للشوكانى

هداية الحيارى من اليهود والنصارى — للإمام ابن القيم

- فقه السيرة — للشيخ الغزالى
- الأوثان تاريخها وكيف عبدت — للاستاذ مصطفى عبد اللطيف درويش
- العقيدة والقوة معا — للأستاذ محمد عبد الله السمان

العقيدة : الركن الأول — للشريف التقلاوى

- إغاثة اللهفان — لابن القيم
- الإسراء والمعراج — للشيخ الشعراوى
- فرعون فى القرآن الكريم — للعلامة المودودى
- ليس من الإسلام — للشيخ الغزالى
- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد — للشيخ عبد الرحمن آل الشيخ
- تحذير المساجد من اتخاذ القبور مساجد — للمحدث الشيخ الألبانى



المؤلف فى سطور

الاســـــم : محمد مغازى محمد أحمد حسن رمضان .

الـبـلـــد : الروازق من قرى مركز إسنا ـ محافظة قنا .

المـؤهـل : يعى القرآن الكريم ويحضر كثيراً من دروس العلم .

الوظيفة : مبيض محارة .

الهــواية : قراءة القرآن والكتب الدينية ودروس العلماء .

صدر عن دار الروضة

للأستاذ / محمد عبدالله السمان	جنيه
• **الإسلام : الجدار المائل**	٥
رد على وليمة الأعشاب	
• **تأثيم الذمة فى تضليل الأمة**	٤
رد على البرهانية	
• **حصاد الشر**	٦
ومن أعمالهم سلط عليهم	
• **الشهيدة**	٣
قصة واقعية	
• **الرحمة المهداة**	٣
• **الشيخ كشك**	٢
قيثارة الدعوة إلى الله	
• **لمــــاذا أســـلمت ؟**	٢٥
تحــقيــق وتقديم	
• **رسائل الجيب الإسلامية : صدر منها :**	
١) الإسلام ٢) الإيمان	
٣) عباد الرحمن ٤) سبعة يظلهم الله	
للشيخ / محمد مغازى محمد	٣
• **قصص الأنبياء**	٣
الجزء الأول	٤
الجزء الثانى	
الجزء الثالث	

•• انتظرونا قريبا ••

محنة الأمة المسلمة للأستاذ السمان

قريبـــــــاً

إن شاء الله

للأستاذ محمد السمان

الأمــة المسلمــة
تحت الصفر

إلى الشباب المسلم

قريباً - إن شاء الله تعالى - سوف تصدر شهريا « رسائل الشباب المسلم » يشرف عليها الكاتب الإسلامى الأستاذ محمد عبد الله السمان تشجيعا للشاب المسلم من الجنسين وبخاصة الشباب الجامعى، على القراءة والبحث فى موضوعات إسلامية، ومنها التراجم للعلماء والمفكرين مع مراعاة : هذه الملاحظات :

- البحث فى حدود ٢٥ صفحة فولسكاب على وجه واحد من الورق .
- إرسال موجزه فى صفحة أو صفحتين عن الموضوع وعناصره .

ليس هدفنا الكسب المادى

- المكافأة رمزية يرسل للمؤلف قيمتها عدد من الرسالة .
- المراسلات والاستفسارات عن طريق المشرف .

والله الموفق ،،

محمد عبد الله السمان

القاهرة - بريد العتبة ص.ب : ١٦٢١

ت : ٥٦٨٣٥٦٤

محمول : ٠١٠/٥١١٨٠٨٦